من أسس الصحة النفسية
فــى
الإســـــلام

دكتور
نبيه إبراهيم اسماعيل
أستاذ الصحة النفسية
جامعة المنوفية

١٩٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

" فَمن يَعْمل مِثقَال ذَرةٍ خَيراً يَرهُ ومَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شراً يَرَهُ "

صدق الله العظيم

" الزلزلـــــة : ٨/٧ "

قال تعــــالى :

" قَالَ اهبِطا منها جميَعا بعضكُم لِبعضٍ عَدُو فَإمَّا يأتيَنَّكم منِّى هُدى فَمَن اتبعَ هُداىَ فَلاَ يَضِلُّ ولايَشقَى * وَمَن أعرَض عَن ذكرى فَإن لهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ونَحْشُرهُ يَومَ القِيامَةِ أعمَىٰ "

صدق الله العظيم

" طه : ١٢٣ / ١٢٤ "

مقدمة :

ان المتتبع للشخصيات[1] الاسلامية التى نشأت وتعلمت فى مدرسة "محمد" ﷺ ، والتزمت - فى كل ما يصدر عنها من سلوك - بكتاب الله وسنة رسوله ، يجد أنها تتمتع بدرجة عالية من السواء النفسى ، حيث إن ايمانهم قد بنى على أساس من الادراك الواعى السليم ، والفهم العميق والدقيق ، والتنفيذ الفعلى الحكيم لكل ما تعلموه من القرآن والسنة . فكان سلوكهم يدل دلالة واضحة على مدى ايمانهم العميق بكتاب الله وسنة رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام من حيث التزامهم بالخطوط الاسلامية بوضوح ، مع عدم تعديهم - مهما كانت الأسباب ، والظروف - لحدود الله . الأمر الذى جنبهم كثيرا من مواقف التردد والصراع ، فعاشوا حياتهم وهم يتمتعون بدرجة عالية من السواء النفسى .

ولم لا وقد نزل القرآن الكريم محدثا الإنسان - عقله ونفسه - لتحقيق قدرا معقول من السواء النفسى يعينه على تحقيق هدفه المنشود الذى أوكله الله اليه ، وهو عمارة هذا الكوكب . وقد جاءت السنة ميسرة وموضحة ، ما قد لا يفهمه الإنسان ، أو ينعم عليه ، حتى يتمكن من ادراك ما فى كتاب اللهمن حكمة وموعظة وهداية له . فمن وعى والتزم عاش حياة نفسية طيبة ، ونال ثواب الآخرة وصدق الله العظيم حيث

---

(١) ان سير الصحابة رضوان الله عليهم ، والمسلمين الأوائل تثبت صحة هذا الرأى .

قال : ﴿ قُلنَا اهبِطُواْ مِنهَا جَمِيعاً فَإِمَا يَأتِينكُم مِنّىَ هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَ لاهُم يَحزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٣٨).

وقد اهتم علماء المسلمين فى علوم الاسلام بابراز وبيان كيفية تحقيق السواء النفسى للإنسان المسلم ، وذلك فى كثير من صفحات كتب التفسير والحديث ، والتوحيد حتى يتحقق للإنسان المسلم الملتزم قدر من الهدوء والراحة النفسية ، كى يحيا حياة نفسية طيبة ، ويستطيع أن يقدم لآخرته الأعمال الصالحة .

واستخراج هذه المعلومات من الكتب والمراجع أمر ليس ميسورا ، بل أمر بالغ الصعوبة . حيث يتطلب توافر عدد من الشروط فيمن يسعى الى ذلك ، منها ، أن يكون على درجة من الإيمان القوى بما يقدم عليه من عمل فى هذا المجال ، وأن يتوافر لديه قدر لا بأس به من الثقافة الإسلامية ، وأن يكون على معرفة جيدة باللغة العربية ، وبكثير من علوم القرآن والحديث والتوحيد . بالاضافة الى معرفة واسعة بكثير مما كتب فى مجال علم النفس المعاصر ، حتى يستطيع الاستعانة بما يعرفه فى مجال علم النفس فى عملية البحث عما كتب من وجهة نظر الاسلام ويمت بصلة لعلم النفس ، فضلا عن تحليه بالجدة ، والموضوعية ، والحيدة ، والأمانة العلمية . فلا يسعى أو يحاول أن يحمل الكلمات الواردة فى الكتب الاسلامية غير دلالتها الحقيقية ، والعبارات معان غير معانيها الأساسية . فيستطيع بذلك الوصول إلى معلومات دقيقة تشكل أساسا - بإذن

الله - لما يمكن أن يطلق عليه فيما بعد علم النفس الاسلامى، وذلك بعد إجراء عديد من البحوث والدراسات النفسية فى هذا المجال .

إن الله قد منحنى من هذه الامكانيات ما يمكننى من أن أكتب عن بعض أسس الصحة النفسية فى الاسلام ،حيث إن الدرجة الجامعية الأولى التى قد حصلت عليها هى ليسانس فى اللغة العربية ، فضلا عما استوعبته من الثقافة الاسلامية نتيجة لدراستى فى معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة على أيدى كبار علماء الدين الاسلامى(١) ، بالإضافة إلى إستمرارية الاطلاع على كثير من أمهات الكتب والمصادر الاسلامية .

هذا ، وقد بدأت العمل فى هذا المجال منذ أن فكرت فى موضوع دراستى لدرجة الدكتوراه (١٩٧٦) أى بعد حصولى على الماجستير فى الصحة النفسية مباشرة ، واستمر العمل خلال سنوات الدراسة فى الدكتوراه ، وما بعدها حتى أذن الله سبحانه وتعالى أن يخرج هذا العمل إلى حيز الوجود ، آملا الأجر والثواب من الله تعالى إذا

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة ، الدكتور محمد عبدالله العربى ، الشيخ الزفزاف ، الدكتور عيسى عبده ، الدكتور عبدالعزيز كامل ، .... وغيرهم كثيرين من الأساتذة ، الذين كانوا يدرسوا لنا فى معهد الدراسات الاسلامية بمنيل الروضة بالقاهرة فى الفترة ما بين ١٩٦٦ / ١٩٦٨م .

كان ما قدمته صوابا ، والعفو والمغفرة إذا كنت قد أخطأت ﴿ ... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إن نَسِينَا أو أخْطَأنَا رَبَّنَا وَ لَاتَحمِلْ عَلَينَا إصْرًا كمَا حَمَلتهُ ، عَلَى الذّينَ مِن قَبلِنا رَبَّنَا وَ لَاتُحَمّلنا مَالا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعفُ عَنّا واْغفِر لَنَا وارحَمنَا أنْتَ مَوْلانا فَانصرْنَا على القَوم الكافرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٨٦)

وتلك بداية أسأل الله أن تكون خطوة صحيحه على الطريق الذى نسعى الى توجيه طلاب العلم والمعرفة إليه ، فيتجهون صوب هذا المجال لاحياء تراث هذه الأمة ، واثرائه فى هذا الميدان ، وأن ينتفع بها عباد الرحمن ، وأن تكون مثيرا قويا يستثيرهم ويحسهم إلى ما فى الاسلام من أسس السواء النفسى الذى يسعى الإنسان طوال حياته كى ينال قسطا منه يعينه على ممارسة حياته بشكل صحيح .

وتتضمن هذه الدراسة ثلاثةفصول رئيسية ، الفصل الأول ، ويتعرض للطبيعة الانسانية فى الإسلام ، الفصل الثانى ، يتناول رؤية الاسلام لهذه الطبيعة ، والإدراك الانسانى لها ، ثم يأتى الفصل الثالث ، الذى يتناول بيان سبعة أسس من أسس الصحة النفسية فى الإسلام ، فى مقدمتها الأساس الأول ، الإيمان بالله الواحد الأحد ، والأساس الثانى ، تقوى الله ، والأساس الثالث ، التوكل على الله ، والأساس الرابع الإستقامة على منهج الله ، والأساس الخامس ، الرضا بالله ربا ، والأساس السادس ، الصبر على القضاء ، والأساس السابع والأخير الإلتزام بالقيم الإسلامية .

وقبل أن اترك هذا العمل للقارىء أقول إن كان فيه من فضل فهو من عند الله يهبه لمن يشاء ، وإن كان فيه من خطأ فهو منى ، وقد جل من لا يخطىء ، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله له الحمد وله الشكر ، وتعالت قدرته ، فهو نعم المولى ، ونعم النصير والله من وراء القصد والسبيل .

مكة المكرمة فى ١٠/١٠/١٤١٠هـ

الموافق ٥/٥/١٩٩٠م

الباحث

الفصل الأول

الإسلام والطبيعة الإنسانية

مقدمـــــة :-

اختلفت وجهات نظر مدارس علم النفس فى طبيعة الإنسان ، فقد رأت مدرسة التحليل النفسى[١] Psychoanalysis أن الإنسان شرير ، وعدوانى ، وأنانى ، وأنه غير عاقل على حين اختلفت المدرسة السلوكية Bahaviorism مع هذا الرأى ، فرأت أن الإنسان عاقل ، وأنه غير متحكم فى هذا العقل ، وأن غيره هو الذى يستطيع أن يتحكم فيه ، عن طريق ما يقدم له فى البيئة التى يعيش فيها من مثيرات ، تؤدى الى استجابات محددة يقصد غيره استدعائها .

وهذان الرأيان يختلفان مع وجهة نظر الإسلام فى طبيعة الإنسان ، حيث يرى الإسلام أن الإنسان عاقل ومفكر ، ومالك لحرية ارادته ، وأنه متميز عن غيره من مخلوقات الله بهذا العقل ، فهو منطلق التفكير ، ومالك الحرية ، فهو مختار ، كما أنه خير ، ومحب ورافض للخطأ ، ومجاهد فى سبيل الصواب ، وآلف ومألوف .

والله سبحانه وتعالى هو خالق الإنسان ، وهو بقدرته أعلم بطبيعته وجوهره ، ومن أجل ذلك فقد اختاره خليفه فى الأرض ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَـةً ﴾ (البقرة : ٣٠) ، كما أن الله قد نفخ فيه من روحه ، فجمع

---

(١) أنظر ماسلو Maslow (١٩٧١)

بذلك في الإنسان بين المادة والروح ، مما يمكنه - بحكم هذا التكوين - من التكيف مع البيئة التي أرسله فيها ، والقيام بمهمته المكلف بها على خير وأكمل وجه ، ولذلك مَن عليه سبحانه وتعالى بنعمة العقل التي بها يدرك الأعمال المنوطة به ، ويحدد ما يمكن أن يقوم به من هذه الأعمال عن ادراك ووعي سليمين .

ولهذا فقد خلق الله تعالت قدرته - الإنسان طاهرا نقيا ، بفطرة سليمة طيبة ، تدرك الصواب من الخطأ ، والحق من الباطل ، والعدل من الظلم ، والكرم من البخل ، وغيرها من الأسس التي تجعله أهلا للخلافة في الأرض ، وكيف يكون على خلاف ما تقدم من وصف واعداد وقد أقر سبحانه خلافته في الأرض وقال للملائكة عندما اعترضوا على هذا القرار ﴿ قَالَ انِّي أعلَمُ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٣٠) ، وكيف يكون الإنسان على خلاف هذا وقد من الله عليه بما لم يمنّ به على أحد من مخلوقاته ، حيث نفخ فيه من روحه ، أليس هو القائل سبحانه وتعالى ﴿ فَاذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحي فَقَعوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (الحجر : ٢٩) ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ (السجدة : ٩) وكيف يكون على خلاف هذا وقد أنعم الله عليه بنعمة العقل ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأرْضِ وَالْجِبَالِ فَأبَيْنَ أن يَحمِلْنَهَا وأشفَقنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الانسَانُ ﴾ (الأحزاب : ٧٢) لكي يكون أهلا لهذه الخلافة ، وليقوم بالدور الذي أراده الله له .

وإذا ما أردنا أن نوضح حقيقة الرأى الذى ندعو اليه ، وهو نقاء وسلامة فطرة الإنسان ، وما يتسم به من سمات تتنافى مع ما نادى به أصحاب التحليل النفسى والمدرسة السلوكية ، فإنا نقول : إذا أراد أحدنا - ونحن بشر - أن يرسل رسولا أو يستخلف خليفة يحمل ما له أو يستخلفه فيه ليكون عادلا وحكيما فى حسن استثماره وتصريفه . أعتقد أنه لابد أن ينتقى هذا الرسول أو يستخلف من هو أهل لهذه الخلافة ، فيكون لديه من القدرات والسمات والامكانيات ماليس عند غيره من الناس ، فما بالنا باختيار رب العزة لخليفته فى هذه الأرض أيكون شريرا ؟! أو عدوانيا ؟! أو غير عاقل ؟! أو ليس له ارادة ؟! ، وهذا مثال يمكن أن يثبت للعقل أن الإنسان على خلاف ما ادعت هاتان النظريتان ، ذلك لأن مدير الكون وخالقه ، اراد عمارة هذا الكوكب ونموه وتطوره ، فكيف يرسل اليه أو يستخلف فيه مخلوقا بتلك الامكانيات والصفات التى وصفه بها كل من أصحاب مدرستى التحليل النفسى والمدرسة السلوكية الإنسان .

هذا ، وللعقل دليل آخر على صحة ما ندعو اليه ، وهو أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق آدم على أحسن صورة وأجملها ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ[1] تَقْوِيمٍ ﴾ (التين : ٤) واراد أن يبعث فيه الحياة ، فنفخ فيه من روحه ، هنا لابد أن

---

(١) انظر تفسير القرطبى سورة التين الآية (٤) ص ص ٧٢٠٣ / ٧٢٠٤ ، تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ص ٥٢٧ /٥٢٨ .

نتأمل قوله تعالى ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ أليست هذه النفخة تجعل له قدرا من الحكمة والمسئولية فى الأرض . أيكون هذا المخلوق الذى حباه الله سبحانه وتعالى بمثل هذه السمات ، وتلك الإمكانيات شريرا وعدوانيا وانانيا ؟!!! معاذ الله أن يكون ذلك ، وإنما هو مخلوق فيه القدرات والسمات التى تمكنه من القيام بدوره فى عمارة الأرض على أحسن وأكمل وجه ، ثم لننظر قليلا ، ونتأمل فيما وصل اليه الإنسان من إنجاز على هذه الأرض ، أيستطيع أن يصل إلى هذا المستوى من التقدم والحضارة دون أن يكون لديه مستوى من العقل ، أو عدد من القدرات الابتكارية ، ومستوى من حرية الارادة ، وقدرة على الاختيار ، وعدد من الضوابط والمعايير ، ومعدل من النشاط ، ورغبة فى الاستمرار ، وحب الخير ، وما كان ليتسم أو يزود الانسان بهذه الأسس إذا لم يكن قد أراد الله له هذا عندما نفخ فيه من روحه .

كما زوده الله سبحانه وتعالى بكثير من الامكانيات التى تعينه على تحقيق رسالته ، فقد سخر له ما فى السموات والأرض ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَاتِ وَ مَا فِي الأَرضِ جَمِيعاً ...﴾ (الجاثية : ١٣) ، وأمده بالعلم والبيان (خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ [١]) (الرحمن : ٣ / ٤) كما أنه علمه ما لم يكن يعلم (عَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَم يَعلَمْ) (العلق : ٥) بل وزاده بسطة فى العلم طالما يأخذ بالأسباب ،

---

(١) انظر تفسير القرطبى سورة الرحمن آية (٣ / ٤) ص ٦٣٢٢ .

فيتدبر الكون بعقله ، ويسعى الى معرفته واكتشاف مجالاته ، وسبرغور مكنوناته .

ولهذا فإن القول بأن الانسان شرير قول لا أساس له من الصحة ، لاختلاف الطبيعة الشريرة مع الهدف الأسمى الذى خلق من أجله الانسان ، بل أنه يمكن القول بسلامة فطرة الانسان ، ونقاء سريرته ، وأنه خير ، لأن الخير يتفق وتلك الطبيعة أو الفطرة السليمة التى فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان عليها ، وتتفق وتحقيق الهدف الأسمى الذى خلقه الله من أجله ، كما أن الشر ليس له مكان فى مثل هذه الفطرة السليمه ، لأنه لا يعين الإنسان على تحقيق الهدف من الاستخلاف فى الأرض لعمارتها .

كما أن القول بأن الفطرة الإنسانية يوجد بها قدرا من الخير وقدرا من الشر مجتمعان معا لا يعد قولا صحيحا يتمشى مع منطق العقل وطبيعة كل منهما ، ذلك لاختلاف هدفها ، فهدف الخير البناء والتعمير ، والنمو والتطور . بينما هدف الشر ، الهدم والتخريب والتدمير . ولما كان الإنسان - كما سبق القول - مكلفاً بعمارة الأرض ونموها وتطورها ، فإن هذا لا يتفق الا مع الطبيعة الخيرة ، وفيما يلى بيان يوضح رؤية الدين الاسلامى لطبيعة الإنسان وجوهرة ، وما يؤكد صحة ما نذهب اليه من نقاء وطهر فطرة الإنسان التى فطره الله عليها .

الإنسان نقى ، طاهر ، خير :

إن الحديث عن نقاء طبيعة الإنسان وطهره ، وأنه خير ، حديث طويل ممتد ، حيث تتناوله النصوص الدينية ، ويفصح عنه ما يصدر عن الإنسان من الأنماط السلوكية فى الحياة ، فحقيقة خلق الإنسان الطهر ، والنقاء والخير ذلك - كما سبق القول - أنه مكلف بمهام لا تتفق إلا وهذه الطبيعة ، ولا يمكن أن تتفق والطبيعة الشريرة ، ولعل قصة آدم فى القرآن الكريم تشير إلى هذه الحقيقة ، من أن الله خلق الإنسان وسواه ، وأكرمه ، ثم اسكنه الجنه ﴿ وَ قُلْنَا يَا آدَمُ اسكُن أنتَ وَزَوجُكَ الجَنَّة ..﴾ (البقرة : ٣٥) وهذا دليل على طبيعة الإنسان الخيرة حيث أن الجنة لا يسكنها إلا من كان طيبا وطاهرا ونقيا وخيرا .

كما أن فطرة الإنسان التى فطره الله عليها فطرة سليمة ونقية ، حيث قال رب العزة فى حديثة القدسى "[١] .. انى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وانهم اتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم .." ويشير هذا الحديث القدسى الى أن طبيعة الإنسان طبيعة حنفية أى[٢] مستقيمة ، وأنه بهذه الطبيعة يستعد لقبول ما هو خير ، وكل ما يهدى الى الخير . هذا ، وقد قال الله تعالى فى النفس الإنسانية ﴿ وَنَفسٍ وَ مَاسَوَاهَا..﴾

---

(١) الأحاديث القدسية : جـ١ ، ط ٤ ، ص ص ٢٧/٢٦ .
(٢) المرجع السابق : ص ص ٢٨ / ٢٩ .

(الشمس : ٧) حيث تؤكد هذه الآية على سواء النفس[1] واستقامتها ، وأنها معتدلة وفق الفطرة السليمة ، فهى قادرة بطبيعتها على معرفة سبل الخير التى تحقق رسالتها المنوطة بها ، وأنها تميز بين طريق الخير وطريق الشر ، وإذا لم تكن نقية طاهرة ما استطاعت أن تحدث هذا التمييز بين الخير والشر .

ولولا أن طبيعة الإنسان خيرة فى أصلها ما أنزل الله الكتب السماوية ، وأرسل رسله بالبينات والحق ليعلن للناس كافة أمورا تتعلق بطبيعتهم . والمحافظة عليها ، وهى المنهج وما يتضمنة من أسباب وطرق المحافظة على طبيعة الإنسان النقية الطاهرة الخيرة ، من قيم ، ومثل عليا ومبادىء خلقية ، وغيرها من الأصول التى تعين الأنسان على بقاء هذا النقاء والطهر والخير ، وتعلى من مكانته فى هذه الحياة .

ولولا أن طبيعة الأنسان خيره فى أصلها ما أستطاع الإنسان أن يفى أو يفهم أو يتمثل هذه الأسس ، ويسير وفق هذه الطرق الا اذا كان مهيئا لتقبلها وفهمها ، وقد حرص الله سبحانه وتعالى على أن يظل الإنسان على نقاء فطرته وخيره فأرسل هوءلاء الرسل بالمنهج الذى يسير عليه الإنسان حفاظا على نقاء طبيعتة الخيرة ، وسعوا بين

---

(١) انظر تفسير القرطبى ، سورة الشمس ، آية (٧) ، ص ٧١٦٥ ، وابن كثير ، جـ٤ ، ص ص ٥١٦/٥١٥ محمد عبده ، جـ . عم ، ص ص ٧٣ / ٧٤ . حيث أشار النووى على صحيح مسلم بهذا المعنى .

الناس يحملون الكتب السماوية والتوجيهات الإلهية لبيان هذا المنهج وتوضيحه وتأكيده فى نفوسهم ، موءكدين من حين الى أخر على ضرورة الالتزام به ، وعدم الحيد عنه حتى لا تفسد فطرة الإنسان السليمة . فضلا عن وضع أيديهم على مختلف المعايير والضوابط التى تحكم السلوك الإنسانى بحيث يتجه وطبيعته النقية ، ولذا كانت مهمة الرسل والأنبياء مهمة أساسية لا رساء محددات المنهج الذى أعده الله سبحانه وتعالى للانسان من أجل بقاء وأستمرار هذه الطبيعة الخيرة التى ستعينه على تنفيذ خلافته فى الأرض .

ومن أجل ذلك كان عطاء الله الأول للانسان هو العقل الذى به يستطيع أن يدرك منهج الله ﴿ انّا عَرَضنَا الأمَانَة عَلَى السّمٰوَات وَ الأرض وَ الجبال فَأبَيْن أنْ يَحملنَهَا وأشفَقن منها وَحَمَلَهَا الانسَانُ ..﴾ (الأحزاب : ٧٢) بما يمكنه من القدرة على الادراك السليم ، والوعى الدقيق لواقع الحياة ، ومتطلباتها ، والموازنة بين ذلك ومهمته فى الأرض التى خلقه الله من أجلها . ولهذا فقد أكد سبحانه وتعالى على أهمية اتباع المنهج وما أنزله الله على الرسل والأنبياء حتى يتمكن الانسان من التمييز بين الخير الذى يتمشى وطبيعته النقية الخيره ، وبين الشر الذى يناقضها ، فلا يقع فيه عن جهل أو عدم معرفة ، ولذلك قال الله تعالى [١] ﴿ وَ هَدَيْنَاهُ النّجدَين .. ﴾

---

(١) انظر تفسير القرطبى سورة البلد ، الآية (١٠) ص ٧١٥٥ ، وتفسير ابن كثير ، جـ ٤ ، ص ص (٥١٢ / ٥١٣) ، مختصر تفسير القرطبى ص (٦٩١) .

ووعى سليمين وفق طبيعته ، ووفق منهج الله سبحانه وتعالى .

ومحافظة من الإسلام على طبيعة الانسان النقية الطاهرة الخيرة ، وأمره بايتاء الزكاة ، والصدقة ، ومعاونة المحتاج ، واطعام المحروم ، وكل ما من شأنه أن يدعم ويعزز طبيعة الخير لدى الانسان ، وذلك بهدف صيانتها وحمايتها من مثيرات الدنيا وزخرفها ، ورغبة منه سبحانه وتعالى أن يظل الانسان على ما خلق عليه من هذا النقاء والطهر والخير ، وقد عزز هذه الطبيعة بما أنزله فى منهجه مؤكدا للذين يحافظون على طبيعنهم التى خلقوا عليها باتباع المنهج بأن لهم الجنة ، وأن من يحيد عنها وعن طريق الخير يكون مصيره الى النار وبئس المصير ، وصدق قول الله تعالى ﴿ .. **الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ...**﴾ (الأعلى : ٢ ، ٣) ﴿ .. **سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى * الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ * ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَ لاَ يَحْيَىٰ * قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ...**﴾ (الأعلى : ٦-١٤)

ان ما اعتقده فى طبيعة الانسان التى خلقها الله تعالى من أنها نقية طاهرة خيرة ، لا يعتبر اعتقادا غريبا اذا ما تتبع الانسان سلوك أخيه الانسان فى كثير من الظروف والأحوال ، وخاصة الذين حافظوا على نقاء وطهر طبيعتهم الخيرة . فأننا نشاهد ، ونسمع التاريخ يحدثنا عن أن هناك من الناس من يكون لديه قليل من الماء أو الطعام وهو

فى حاجة اليه ، ومع ذلك يعطيه لمن هو أحوج منه ، وأن هناك من يزيح الأذى عن الطريق دون دافع من أحد اللاطبيعته الخيرة ، وأن هناك من الناس من لا تفارق الابتسامة وجهه عندما يقابل غيره ، ... اليس فى هذا دليل على سلامة ونقاء وطهر وخير الانسان ؟

ألا نجد فى هذا العصر الذى نعيش فيه - والذى اختلط فيه الحابل بالنابل ، والذى اشتد فيه الصراع بين الناس على المادة ، والتسابق والتناحر من أجلها - من الناس من يلتزم فى سلوكه بالقيم النبيله ، ويتمسك فى أفعاله وتصرفاته بالمثل العليا والمبادىء الفاضلة ، الا نجد فى هذا العصر من الناس من يحارب الفساد محافظة منهم على بقاء واستمرار وطهر الانسان ونقائه وخيره ، ألا نجد من الناس من يلحقه الضرر شخصيا فى نفسه ، وفى ماله وفى ولده ، وفى أهله من أجل تمسكه بالحق ، ووقوفه بجوار العدل ، ومناهضته للظلم ، أليس هذا كله دليلا على أن من يحافظ على نقاء سريرته ، وطهر طبيعته ، واصالة خيره لابد أن يظل عليها مهما لحقه من المتاعب والمشاق والأذى .

أليس فى ندم آدم عليه السلام واستغفاره ، وطلب التوبه من ربه عما ارتكبه من خطأ بعصيانه أوامر الله ، دليل على نقاء طبيعته وطهرها ؟ ولو كان آدم على خلاف هذه الطبيعة ما شعر بالندم ، واستغفر ربه ، وسعى لطلب التوبة ، وفى الوقت نفسه ما

استجاب الله سبحانه وتعالى لطلبه ، وما لبى رجاءه فى العفو ﴿ وَقُلْنَا يا آدَمُ اسكُن أنتَ وَزَوجُكَ الجَنَّةَ وكُلاَ منهَا رَغَداً حَيثُ شئتُما ولاَ تَقرَبَا هَذه الشَجَرَةَ فَتَكُونَا مِن الظَالمِينَ * فَأزَلَهُمَا الشَيطانُ عَنهَا فَأخرَجَهُماَ مِمَا كَانَا فِيه وَقُلنَا اهبِطُوا بَعضُكُم لبَعضٍ عَدُوٌ وَلَكُم فِي الأرضِ مُستَقَرٌ وَمَتَاعٌ الى حِينٍ * فَتَلَقَى آدَمُ مِن رَبِهِ كَلماتٍ فَتَابَ عَلَيهِ إنَهُ هُوَ التَوابُ الرحِيمُ ﴾ (البقرة ٣٥ - ٣٧).

هذا ، وتشير آيات القرآن الكريم فى قصة يوسف عليه السلام الى ما حدث من فعل يتصف بالشر ، وهو وضع أخوان يوسف أخاهم فى الجب ، ان هذا الفعل لم يكن بدافع من طبيعتهم الشريرة - كما يتصور أو يفسر بعض الناس - انما كان هذا الفعل بناء على المعاملة الخاصة التى يلقاها يوسف من أبيه دون أخوانه ﴿ إذ قَالُوا لَيُوسفُ وأخُوهُ أحبّ الى أبِينَا مِنّا ﴾ (يوسف : ٨) . بالإضافة الى وسوسة الشيطان لهم بأن يأتوا بهذا الفعل ، ولهذا أقبلوا على هذا العمل تصورا منهم أن غياب "يوسف" عن أبيه سيغير وضعهم ، ومكانتهم عند أبيهم ويؤكد هذا ما ورد على لسان سيدنا يوسف عليه السلام ﴿.. وَجَاءَ بِكُم مِّن البَدوِ مِن بَعدِ أن نَزَغَ الشَيطَانُ بَينِي وَبَينَ اخوَتِي إنَّ رَبِّى لطيفٌ لما يَشَاءُ إنَهُ هُوَ العَليمُ الحَكيمُ ﴾ (يوسف : ١٠٠).

هذان العاملان فعل البيئة المتمثل فى حب الأب ليوسف ، وفعل الشيطان فى وسوسته للأخوان ، جعلهم يفكرون فى الخلاص من " يوسف " حتى يخلو الأب لهم ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ (يوسف : ٩) ، ولعل قول أحدهم بعدم قتل يوسف واشارته بأن يلقى فى الجب ، واستجابة الأخوة لهذا الرأى ، والعدول عن قتله ، دليل على عدم وجود [1] الشر فى التكوين الطبيعى للانسان ، كما أن اعتراف الأخوة بذنبهم ، وأنهم كانوا مخطئين حين أقدموا على رمى أخاهم فى الجب . ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ (يوسف : ٩١) ، وطلبهم استغفار الأب لذنوبهم ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (يوسف : ٩٧) دليل آخر على أن أصل طبيعتهم خيره ، وإلا ما اعترفوا بخطئهم ، ورغبوا فى تطهير نفوسهم والعودة الى طبيعتهم الأصلية .

أليس فى أمثلة من يضحون بأنفسهم من بنى البشر فى سبيل غيرهم دليل على خير الانسان ؟ أليس فى أمثلة من يبذلون العطاء لغيرهم من الناس دون انتظار لرد أو لكلمات الشكر والتقدير دليل على أن الانسان خير ؟ أليس فى أمثلة من تساموا ، وارتفعوا عن الصغائر ومغريات الحياة ، وزخرفها تمسكا بأوامر الله ، وقيمه دليل على طبيعتهم النقية الطاهرة ؟ أليس فيما يصدر عن الإنسان من سلوك وتصرفات ، وأقوال وأعمال كأطعام المحروم ، وأغاثة الملهوف واكرام ابن السبيل دليل على أنه خير ؟ .

---

(١) وان كان ما اقدموا عليه من فعل هو شر الا أنه أخف بكثير من قتل النفس ، وكما سبق القول دافعه حب الأب ليوسف ، ووسوسة الشيطان لهم .

ان عباد الله المسلمين الذين التزموا بمنهج الله ، وما فيه من أوامر ونواه قد صانوا وحافظوا على نقاء هذه الطبيعة وطهرها ، وزادوا من خيرها ، ومن أجل ذلك نجدهم منطلقين فى عمل الخير ، ومحبين له ، ولمن يقدم على عمله من الناس ، وقد وصفهم الله بأنهم ﴿ .... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان : ٦٣) ، ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾(الفرقان :٧٢) ،وهى أنماط من السلوك البشرى تدل على طبيعتهم النقية الطاهرة الخيرة ، فهؤلاء الناس محبون للسلام ، ومعرضون عن الاشتراك فى اللغو تمشيا مع حقيقة طبيعتهم وواقعها الذى أراده الله للانسان .

ولو كان الانسان شريرا ما أكرمه الله بالعلم والمعرفة ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق : ٥) ، لأنه لو كان كذلك لاستخدم علمه فى تدمير ما عمر ، وما بنى ، وما شيد ، وهو على خلاف الأمر المكلف به من قبل الله سبحانه وتعالى ، واذا تتبعنا سلوك بعض الناس الذين أقدموا على عمل يلحق الضرر بالآخرين ، نجد أن مثل هؤلاء الناس بعد أن يأتوا بهذا الفعل يسعون بكل ما يملكون من قدرة عقلية لايجاد عدد من المبررات محاولين بذلك اقناع أنفسهم بصحة ما ارتكبوا من أفعال ألحقت الضرر بغيرهم ، والمتدبر أمر مثل هؤلاء الناس يجد أن هذه المبررات التى سعوا لاختلاقها ، واجتهدوا لايجادها ، ما هى إلا دليل على احساسهم بالذنب ، وشعورهم بالاضطراب والقلق ،

وعدم الرضا عن النفس ، ان دل هذا على شيء فإنما يدل على تنافى ما ارتكبوه من هذه الأفعال مع حقيقة طبيعتهم النقية الخيرة أصلا .

ولو كان الإنسان شريرا ما علمه الله سبحانه وتعالى الأسماء كلها ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة : ٣١) ، وما خلقه وما علمه البيان ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾[1] (الرحمن : ٣، ٤) ، وإلا وجدناه فى كل الأمور أو على الأقل فى خمسين فى المئة من الأفعال والأعمال قد استخدم عطاء ربه من علم ومعرفة وبيان ، وفهم فيما لا يعود على الناس بالخير ، إنما خلقه سبحانه وتعالى وعلمه كل هذا لعلمه السابق - وهو خالقه - أن من يتعلم من الناس العلم والمعرفة والبيان يستطيع استثمار ما يتعلمه فيما يعود على الناس بالخير وفق طبيعتهم السليمة .

ويبقى بعد ذلك أن نسأل سؤالا إذا كان الانسان على هذا النحو فى طبيعته فمن أين يأتى شر الانسان ، أو السلوك الذى نطلق عليه سلوكا شريرا ، أقول ان ما يصدر عن الانسان من سلوك شرير يكون مصدره البيئة بما فيها من مثيرات ، أى أن الشر الذى

---

(١) يذكر القرطبى ص ٦٣٢٢ - فى تفسيره للبيان أنه الحلال من الحرام ، والهدى من الضلال (الضاحك) ، والخير من الشر (الربيع بن أنس) ، ويروى القرطبى أنه يعنى الكلام والفهم.

يأتى به الانسان من صنع البيئة ، وليس من طبيعته ، حيث تعددت المثيرات فى البيئة التى يعيش فيها الانسان ، والتى قد يتأثر بها اذا لم يكن ملتزما بمنهج الله وأوامره ، ومنتهى عما نهى .

ويشير حديث رسول الله ﷺ الى تلك الحقيقة - أيضا - عندما تحدث عن فطرة الإنسان[١] ما من مولود يولد الا على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه " وبهذا يؤكد عليه أفضل الصلاة والسلام على دور البيئة فى تكوين معتقدات الإنسان ، وتشكيل سلوكة عندما بين أن الأبوين بواقعهما اللذان نشآ عليه فى البيئة يقومان بغرس عقيدتهما ، وما يترتب على ذلك من تعليم الأبناء كثيرا من الأنماط السلوكية .

ويشير ماروى عن رسول الله ﷺ عن القاتل الذى اراد التوبة من جرائمه وأنه " سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم . فقال له : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، من يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق الى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع الى أرضك فإنها أرض سوء "[٢] ، وفيما

---

(١) كتاب القدر / باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، ص (٢٠٤٧) ، رقم الحديث (٢٦٥٨).

(٢) صحيح مسلم ، جـ٤ ، كتاب التوبة ، باب قبول التوبة ، ص ٢١١٨ ، رقم الحديث (٢٧٦٦).

روى عنه ﷺ عندما كان بصدد توجيه المسلمين بالبحث عن الزوجة الصالحة "إياكم وخضراء الدمن ، قيل وما خضراء الدمن قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء"[(١)].

وهكذا يبدو واضحا أن الاسلام يرى أن للبيئة دورا هاما وأساسيا ، يؤثر على فطرة الانسان الطاهرة النقية ، فهى حافظة لهذا النقاء وتلك الطهارة اذا كان من فى البيئة ، وما فيها طيبا وخيرا ، وهى مصدر الفساد والشر اذا كان بها مثيرات تدعو الى إرتكابهما وتدعيمهما.

هذا ، ويعتبر الشيطان مصدرا مدعما لمثيرات البيئة ، ومقويا لقدرتها على استدعاء الاستجابة لدى الإنسان لمثل هذه المثيرات التى تستدعى من الإنسان سلوكا شريرا ، حيث يقف للإنسان منتظرا تقدير مدى استجابته لمثل هذه المثيرات فإن كانت قوية عززها ، وإن كانت ضعيفة دعمها ، حيث أخذ الشيطان على نفسه عهدا بالقيام بهذه المهمة بالنسبة للانسان مدى الحياة ﴿ .. لأقعدَنّ لهُم صراطك المُستقيمَ * ثُمّ لآتيَنّهُم مّن بَين أيديهِم ومِن خَلفِهِم وعَن أيمانِهِم وعَن شَمائلِهِم ﴾ (الاعراف : ١٧) ، حيث إنه اذا استرجع الانسان بعض مواقف الخطأ (الشر الذى ارتكبه فإنه سيدرك تمام الادراك أن الشيطان كان يوسوس له فيعده ويمنيه ليتولى سرعة استجابة

(١) انظر محمد ناصر الدين الالبانى . الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ط ٤ ، جـ١ ، ص ٢٤ ، رقم الحديث ١٤ ، اسماعيل بن محمد العجلونى ، كشف الخفاء ط ٣ ، جـ١ ، ص ص ٣١٩ / ٣٢٠ .

الانسان للمثيرات البيئية التى تحيط به ، محاولا اخراجه من حقيقته النقية الطاهرة الخيرة الى واقع البيئة التى تدعوه بمثيراتها الى ارتكاب المعصية والاتيان بالشر ﴿ يَعِدُهُم وَيُمَنِّيهِم وَمَا يَعِدُهُم الشَّيطَانُ الاَّ غُرُوراً ﴾ (النساء : ١٢٠) .

ولا تقتصر وسوسة الشيطان للانسان على استجابة للمثيرات التى تكون فيها ارتكاب سلوك الشر والمعصية لأوامر الله ، بل تمتد الى وسوسته للانسان بأنه قادر وقوى ، وعليم ، وهذا قد يدعوه الى الاستجابة للفرح والغرور بما أوتى من هذه الخيرات التى ما وهبها الله للانسان الا لتحصين طبيعته النقية الطاهرة الخيرة السليمة ضد مثيرات البيئة ، وضد وسوسة الشيطان والتى اذا استجاب لها ولوسوسته فإنه يسلك على خلاف طبيعته ، ووفق ارادة الشيطان .

ولهذا فقد حذر الله سبحانه وتعالى الانسان و نبهه من حين الى آخر من الاستجابة السريعة لمختلف مثيرات الحياة ، ووسوسة الشيطان لتعزيز أو تدعيم سرعة الاستجابة لهذه المثيرات ، حين قال : ﴿ فَلاَ تَغُرَّنَّكُم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بِاللَّهِ الغَرُورُ ﴾ (فاطر : ٥) وفى موضع آخر يؤكد سبحانه وتعالى على أن الشيطان عدو للانسان ﴿ أن الشَّيطَانَ لكُم عَدُوٌ فَتَخِذُوهُ عَدُواً إنَّما يَدعُوا حِزبَهُ لِيَكُونُوا مِن أَصحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر: ٦) ويستمر الله سبحانه وتعالى فى تحذير الانسان من وسوسة الشيطان مذكرا اياه بما فعله مع أبيه آدم عليه السلام حين قال﴿ يَا بَنِى آدَمَ لاَ يَفتِنَنَّكُمُ الشَّيطَانُ كَمَا أخرَجَ أَبَوَيكُم مِّنَ الجَنَّةِ يَنزِعُ عَنهُمَا

لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ (الاعراف : ٢٧) .

هذا ، وقد حذر المؤمنين من أن لا يتبعوا خطواته عندما قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ (النور : ٢١) حيث إن الشيطان لا يسعى الا الى خذل الانسان بوقوعه في الشر وارتكاب المعاصي ﴿ .. وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾ (الفرقان : ٢٩) وأنه أي الشيطان لا يأتى من ورائه خير ، إنما يأمر الانسان بالفحشاء ويعده بالفقر ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ..﴾ (البقرة : ٢٦٨) .

بالإضافة الى ما تقدم - من بيان مصادر الشر الذى يصدر عن الانسان - فان بعد الانسان عن منهج الله وعدم الالتزام بأوامره ، والانتهاء عن نواهيه تعد أساسا لتهيئة الظروف لمثيرات البيئة ووسوسة الشيطان كى تعطى نتائجها ، وتدفع الانسان الى ارتكاب كثيرا من المعاصى ، واشاعة الشر بين الناس ، والأمر يكون على خلاف هذا اذا التزم الانسان بمنهج الله وأوامره ، وتجنب نواهيه فإن ذلك من شأنه أن يضعف هذه المثيرات ويطرد كل وسائل الشيطان التى تعمل على تقوية الاستجابة لمثيرات البيئة .

هذا ، وقد سبق القول بأن الله سبحانه وتعالى قد حذر الانسان من مغريات الدنيا

واغراء الشيطان ، وبين له - أيضا - طرق المحافظة على نقائه وطهره وخيره باتباع منهجه وأوامره ، والانتهاء عما نهى . ذلك لأن هذا من شأنه الا يجعل للشيطان ثغرة يدخل منها لنفس الانسان ، وصدق قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ (الأعراف : ٢٠١) ، كما أكد على أن الشيطان بوسوسته لا يملك أن يكون له سلطان على الانسان الذى يحافظ على نقاء فطرته باتباع منهج الله حين قال : ﴿ **إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ (الحجر : ٤٢) ، كما أن الشيطان نفسه قد اعترف بعدم قدرته على ايقاع الانسان المؤمن الملتزم بالمحافظة على فطرته وفق منهج الله ، ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ (الحجر :٣٩ ، ٤٠) وهذا يعنى عدم قدرة الشيطان على غواية عباد الله المخلصين ، الا الذين ابتعدوا عن منهج الله ، ولم يلتزموا بأوامر الله وينتهوا بنواهية ، واستجابوا لمثيرات الحياة الدنيا ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ (النحل : ٩٩ ، ١٠٠).

ومما تقدم يتضح أن الشر الذى قد يأتى به الانسان ليس أصلا فى طبيعته انما هو عرض عارض ، استجابة لما فى البيئة من مثيرات لا تتفق وطبيعة الانسان النقية الطاهرة الخيرة ، وبفعل وسوسة الشيطان واغرائه المستمر الدائم للانسان لارتكاب المعاصى والذنوب عن طريق تغذية الاستجابة لمثيرات البيئة .

الانسان عاقل ، وهو حر فى استخدام عقله :

لقد سبق القول بأن الله سبحانه وتعالى قد خص الأنسان بنعمة العقل وميزه بها عن غيره من المخلوقات ، ولهذا كان تفضيل [١] رب العزة لبنى البشر عن بقية المخلوقات من أجل العقل الذى به يدرك الصواب من الخطأ ، والحق من الباطل ، والعدل من الظلم ، والعلم من الجهل ، والخير من الشر ، حيث يتم به معرفة الأصول والحقائق ، والإدراك والوعى والفهم لكل ما يدور حوله فى الدنيا ، وما يخفى عنه فى الآخرة .

ويشير المفسرون لكتاب الله الى أن الله عز وجل قد فضل الانسان بالعقل الذى به يدرك الحقائق ، ويستبصر الأمور ويتدبرها ، ويفكر فيها ، ويتبادل الرأى ليصل الى الحقيقة ، فيهتدى الى أوامر الله ويلتزم بها ، ويتعرف على نواهيه ويتجنبها . ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى قد احترم عقل الانسان وقدره ﴿ قُل هَل يَستَوِى الذِينَ يَعلَمُونَ وَالذِينَ لا يَعلَمُونَ إنَما يَتَذَكَرُ أُولُوا الألبَابِ ﴾ (الزمر : ٩) ، وذلك لأنه وسيلة الى الصواب والالتزام به ، ومعرفة الخطأ والبعد عنه ، كما أنه وسيلة للمحافظة على وجوده وكرامته واثبات ذاته .

---

(١) انظر القرطبى ص (١٨٣١) .

ولم يهب الله سبحانه وتعالى العقل للانسان الا من أجل استخدامه واعماله فى التدبر فى مخلوقات الله . ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران : ١٩٠) ولهذا يدعو سبحانه وتعالى من حين لآخر لتدبر الوجود ﴿ قُلْ سِيرُوا فِى الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت : ٢٠) ، ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾ (يونس ١٠١) ، ﴿ وَفِى الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد : ٤) ، وهكذا يدعو الله سبحانه وتعالى الانسان لأعمال عقله فى كل مخلوقاته وتدبر الأمور وادراكها اعترافا بها ، واحتراما لها ، وحثه على استخدامها بصورة مستمرة فيما خلق الله ، ولهذا يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ، نُسْقِيكُم مِمَّا فِى بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَ مِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل : ٦٦، ٦٧)

ان دعوة الله سبحانه وتعالى الانسان الى اعمال عقله واستخدامه فى التفكير فى خلق السموات والأرض ، وفى مختلف موجودات الله الدليل على أن الاسلام يؤكد على

تميز الانسان بالعقل ، ولهذا فهو مدعو للتفكير فيما خلق الله استخداما لهذه الطاقة ، واعمالا لها ، ومن أجل ذلك يحث الانسان من حين لآخر على تحكيم العقل فى كل أمور الحياة . ﴿ أوَ لم يَنظُرُواْ فى مَلَكُوتِ السَّمَٰوَاتِ وَ الأرضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ ..﴾ (الأعــراف : ١٨٥) ، ﴿ أوَ لم يَتَفَكَّرواْ فــى أنــفُسِهِم مَا خَلَقَ الــسَّمـٰواتِ والأرضِ وَمَا بَينَهمَا الاَّ بالحَقِّ ...﴾ (الروم : ٨) ، ﴿ أفَلَم يَنظُرُواْ إلىٰ السَّمَاءِ فَوقَهُم كَيفَ بَنَيناهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا من فُروجٍ ﴾ (ق : ٦) ، ﴿ أفَلاَ يَنظُرُونَ إلىَ الإبلِ كَيفَ خُلِقَت * وَإلىَ السَّمَاءِ كَيفَ رُفِعت * وَإلىَ الجِبَالِ كَيفَ نُصِبَت * وَإلىَ الأرضِ كَيفَ سُطِحَت ﴾ (الغاشية :١٧ - ٢٠) ، ﴿ أوَ لم يَرَواْ أنَّا نَسُوقُ المَاءَ إلىَ الأرضِ الجُرزِ فَنُخرِجُ بِهِ زَرعاً تَأكُلُ مِنهُ أنعَامُهم وَأنفُسهم أفَلاَ يُبصِرُونَ ﴾ (السجدة : ٢٧) .

وهكذا اذا ما تتبعنا الآيات التى تدعو العقل الانسانى للتفكير وجدنا أنها كثيرة ومتعددة ، وتدعو الانسان ليدقق النظر ، ويعمل العقل فى كثير من مخلوقات الله ، وليعلم كيف خلقت ؟ وكيف سيرت ؟ وكيف ثبتت ؟ وكيف حركت ؟ وكيف انبتت الأرض ؟ ان هذا كله لدليل واضح على اعتراف الاسلام بعقلانية الانسان ، وبحريته فى استخدام هذا العقل ، وحثه على ضرورة حسن استثماره فيما يعود عليه وعلى غيره بالخير كل الخير .

إن الإسلام قد أعطى عقل الانسان حرية التنقل ، والنظر فى مخلوقات الله ، تدريبا للإنسان على حسن استخدامه ، بابداء الرأى فى كثير من أمور الحياة الدنيا ، وحسن اصدار الأحكام على الأنماط السلوكية التى تصدر منه ، ومن غيره من الناس حفاظا بذلك على الا يصدر منه سلوك سىء ، بل يظل حريصا على أن يكون سلوكه حسنا خيرا متمشيا مع الفطرة السليمه والعقل الواعى الحكيم .

كما أن الانسان فى الاسلام مدعو لأن يدرك كافة المعارف ، والمعلومات عن هذه الموجودات فى هذا الكون بعقله حتى يتعرف على كثير من اسراره ، ويكتشف مدى قدرة الله سبحانه وتعالى ، وما أنعم به من نعمة العقل عليه التى يتوصل عن طريقها الى ادراك قدرة الله .

وبناء على ما تقدم فإنه يمكن القول بأن دعوة الله سبحانه وتعالى العقل الإنسانى للتأمل ، والتفكير ، والتدبر فى كل مخلوقاته ، دليل على اهتمام الاسلام بالعقل ، ولما له من قدرة على التمييز بين الأمور والأشياء ، فيستطيع الانسان بذلك أن يتجنب مواطن الخطأ ، وأن يدرك الحقائق ، ويوازن بين الأضداد ، وأن يفهم العالم فهما سليما ، وأن يحسن تسخير البيئة لما فيه خيره ، وخير غيره من الناس ، وأن يبتكر الأسباب التى تعينه على تحقيق الهدف الأسمى الذى من أجله قد خلق .

كما أن هذه الدعوة لاستخدام الانسان لعقله تؤكد - فى الوقت نفسه - على الاهتمام بعقل الانسان ، والمحافظة عليه ، لأن فى ذلك محافظة على نقاء فطرته ، وطهر سريرته ، وخيره وهذا يعنى المحافظة على انسانيته ووجوده حتى يكون موضع الملامة من الله وخلقه ، وحتى يحقق للانسانية الخير كل الخير ، بما يقدمه من انجازات مبتكرة ، لم يكن الانسان ليصل لها بدون اعمال عقله .

هذا ، فضلا عن أن هذه الدعوة لاستخدام العقل تعد أساسا للمحافظة على حريته وكرامته ، فيظل محتفظا بذاته الطاهرة الخيرة ، ذلك لأن العقل فى الاسلام يعتبر مصدرا أساسيا من المصادر التى تعين الانسان على الهداية ، والخير لبنى البشر .

للانسان إرادة حرة :

تميز الانسان فى الاسلام عن غيره من مخلوقات الله بامتلاك ارادة حرة ، حتى تتم له امكانيات التكليف التى كلف به من قبل الله سبحانه وتعالى ، وحتى يتمكن من تحمل مسئولية أعماله فى هذه الحياة ، وحتى يكون على درجة من الحيوية والنشاط والايجابية لتحقيق الهدف الأسمى الذى من أجله خلقه الله . ذلك لأنه لا يمكن أن يقوم الانسان بالأعمال المنوطة به فى هذه الحياة دون أن تكون له تلك الارادة الحرة ، وإلا يعد ذلك تناقضا مع المهمة التى كلف بها .

وإذا ما تدبر الانسان الفرد حركته فى الحياة ،وما يقدم عليه من أعمال وأفعال وأقوال ، وما يحجم عنه منها ،أدرك تمام الادراك أنه يمتلك ارادة حرة ، يدرك عن طريقها احساسه بوجوده وقدرته على النشاط والحركة ، والإيجابية فى مواقف الحياة ، والسلبية فى بعضها ، والوصول الى هذه الحقيقة لا يتطلب اثباتا من أحد للأخر ، انما تتطلب فترة من التأمل الهادف الذى يقود الانسان الى واقع هذه الحقيقة التى قد ينكرها بعض المفكرين .

والمتأمل فى مفهوم الطبيعة الانسانية فى الاسلام يجد تناسقاً واضحاً بين منطلقات الاسلام لهذه الطبيعة ، فالانسان يمتلك ارادة حرة لأنه وهب عقلا يفكر به ، ويوجه نشاطه على أساس ما يمليه هذا العقل ، ولهذا فلابد أن يكون الانسان مالكا لحرية ارادته والا ما استطاع أن ينفذ ما انتهى اليه عقله ، ولا يمكن للانسان أن يحقق الأعمال التى اسندت اليه من قبل الله سبحانه وتعالى اذا سلبت حرية ارادته أو تناقضت بما لا يتناسب والمهمة المكلف بها .

كما أن الانسان يملك حرية ارادته لأنه ليس عبدا لأحد من البشر ذلك لأن العبودية فى الاسلام لله وحده ، ومن أجل ذلك منحه الله هذه الميزة عن غيره من الكائنات الأخرى ، ودليل ذلك أن الانسان غير مكره على شيء يفعله حتى فى موضوع الايمان بخالقه الذى حرره من العبودية لغيره ﴿ **لاَ اكرَاهَ فِي الدِينِ قَد تَبَيَنَ الرُشدُ مِن اَلغَيِّ** ﴾ (البقرة : ٢٥٦) ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يخاطب

رسوله ﴿ أفأنت تكره الناس حتىٰ يكونوا مؤمنين ﴾ (يونس : ٩٩) مبينا أنه لا اكراه للانسان حتى فى الايمان بالله ﴿ وَ قُلِ الحَقّ مِن رَبّكُم فَمَن شَاءَ فَليُؤمِن وَ مَن شَاءَ فَليَكفُر ﴾ (الكهف : ٢٩) ، فالانسان يمتلك حرية ارادته فيما يقدم عليه من أفعال وأعمال ومايصدر عنه من سلوك مؤكدا بذلك على حريته ، وامتلاكه لارادته ، وعدم المساس بها ، لما لها من أهميه فى قيامه بدوره المنوط به فى الحياة حتى وان كانت فى موضوع الايمان بالله الخالق .

وقد أكد سبحانه وتعالى هذا الأمر فى كثير من آياته فقال : ﴿ وَ نَفسٍ وَ مَاسَوّاها * فَألهَمَهَا فُجورهَا وَتقوَاهَا ﴾ (الشمس : ٧ ، ٨) ، فالانسان مالك لحرية ارادته يستطيع أن يأتى بما أمر الله ، ويستطيع أن يمتنع عما نهى عنه ، فإن أتى بالسلوك السليم فلنفسه ، وأن أتى بسلوك لا يرضى عنه الله فإن ذلك مردود عليه : ﴿ إن أحسَنتُم أحسنتم لأنفُسِكُم وَإن أسَأتُم فَلَهَا...﴾ (الأسراء : ٧) ، أى أن الانسان قادر على تقديم الخير لنفسه أو جلب الشر لها .

ويوضح الاسلام مدى امتلاك الانسان لحرية ارادته فى كثير من الآيات القرآنية عندما قال سبحانه وتعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبكُم أن يرحمكم وإن عُدتّم عُدنَا ﴾ (الاسراء : ٨) ، وفى هذا دليل على امكانية عودة الانسان ورجوعه الى الله بعد بعده عنه ، وأنه يمتلك حرية الحركة فى العودة الى خالقه من عدمها ، وهكذا يؤكد سبحانه

وتعالى أن الانسان لديه الحرية والارادة فيما يصدر عنه من سلوك عندما قال : ﴿ مَن اهتَدَى فانما يَهتَدي لِنَفسِه وَ مَن ضَلّ فانما يَضِلُ عَليهَا ﴾ (الاسراء : ١٥) ، وصدق قوله تعالى : ﴿ إنَّا هَدَيناهُ السبيلَ إمَا شَاكراً وإمّا كفورا ﴾[١] (الانسان : ٧) ، فالانسان حر فيما يفعل بعد أن بيّن له الله الصواب والخطأ والحلال من الحرام ، والخير من الشر . ﴿ وَهَدَيناهُ النّجدَين ﴾[٢] (البلد : ١٠) أى بينا له طريق الخير وطريق الشر ليختار بينهما ، وفى هذا دليل على امتلاك الانسان لحرية ارادته ، لأنه لو لم يمتلك هذه الحرية ما خيره الله سبحانه وتعالى فى كثير من الأمور حتى فيما يتعلق بموضوع الايمان به سبحانه وتعالى . ولذلك فقد منح الله تعالى الانسان حريته فى الايمان به والالتزام بمنهجه .﴿ فَمَن شَاءَ اتّخذَ إلى رَبّه سَبيلاً ﴾[٣] (الانسان :٢٩) . ﴿ لِمن شَاءَ مِنكُم أن يَستَقِيمَ ﴾[٤] (التكوير : ٢٨) وفى هذا بيان واضح لحرية امتلاك الانسان لارادته فإن شاء استقام ، وان شاء انحرف ، فهو مسئول عن حسن استخدامه لهذه الحرية بعد أن بين الله سبحانه وتعالى له مختلف جوانب الصواب ، وجوانب الخطأ ، وبذلك ترك سبحانه للانسان حرية الانتفاع بإرادته ، والاختيار بين الحق والباطل ، والخير والشر ...

---

(١) القرطبى : ص ص ٦٩١٣ / ٦٩٤٤ .

(٢) القرطبى : ص ٧١٥٥ .

(٣) محمد عبده : تفسير جزء عم ص ٦٩ .

(٤) القرطبى ص ٧٠٣٤ ، وابن كثير : ص ٤٨٠ .

ولولا امتلاك الانسان[١] لحرية ارادته ما استحق الثواب والعقاب ، ذلك لأن وجود عملية الثواب والعقاب دليل آخر على امتلاك الانسان لهذه الحرية ، وقدرته على الاختيار بين البدائل وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك عندما قال : ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى * فَأَمَّا مَن طَغَى * وَءَاثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنيا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى * وَ أَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات : ٣٦ - ٤١) .

ولهذا كانت أوامر الله سبحانه وتعالى للانسان واضحة وصريحة ، ومتمشية مع حقيقة الطبيعة الانسانية مؤكدا هذه الحرية : ﴿ وَمَن أَرَادَ الأخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُولَٰئكَ كَانَ سَعيُهُم مَشكُوراً ﴾ (الاسراء : ١٩) فالانسان حر في امتلاك ارادته ان اراد أن يسير في طريق الخير سلك ، وإن اراد أن يسير في طريق الشر سلك ،﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطَانٌ ﴾[٢] (الاسراء :٦٥) ، والله سبحانه وتعالى يؤكد هذا الأمر في أكثر من موضع فيقول في آية أخرى (إِنَّ عِبَادي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ) (الحجر :٤٢)

---

(١) القرطبي : ص ٦٩١٣ ، وابن كثير جـ٤ ، ص ٤٥٣ ، عبدالقادر المغربي ، تفسير جزء تبارك ، ص ١٢٤ .

(٢) ان الله يؤكد للشيطان أنه ليس له سلطان على عباده الا من يتبعك من الغاوين .

فذكر الانسان من حين لآخر بهذا المنهج الرباني لعباده ﴿ إن هُوَ الا ذِكرٌ لِلعَالَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكم أن يَستَقِيمَ ﴾ (التكوير : ٢٧ - ٢٨) .

وجدير بالقول أن امتلاك الانسان لحرية ارادته محددة بقدراته وامكاناته البشرية ، ومحددة بالحدود الشرعية التى وضعها الله للانسان فى المنهج الذى خطة سبحانه وتعالى ليلتزم به فلا يجور بحريته هذه على حرية الآخرين ذلك لأنه مسئول أمام خالقه عن كيفية استخدامها ، كما أن هذه الحرية التى يتمتع بها الانسان المسلم حرية مضبوطة من داخله لا من خارجه ، بوازع من الضمير الذى كونه الاسلام فى الشخصية المسلمة ، ولذلك فهو يمارسها فى كل مكان وزمان بالدرجة نفسها وبالاسلوب ، والطريقة التى حددتها الحدود الشرعية ، والتى من شأنها أن تحافظ على وجود هذه الحرية لدى كل أفراد المجتمع الاسلامى ، وبما يجعل الانسان قادرا على حسن استخدامها فيما يعود على كل من الفرد والمجتمع بالخير .

الانسان مسئول :

ويتوافق هذا المنطلق لوجهة نظر الاسلام فى الطبيعة الانسانية مع غيره من المنطلقات السابقة التى أشارت الى أن الانسان عاقل ومفكر ، وأنه مالك لحرية ارادته ، وأنه كائن حى نشط ، حيث ان هذه الامكانيات التى منحها الله سبحانه وتعالى للانسان

تجعله مسئولا عن كل ما يصدر عنه من أنماط السلوك سواء كانت قولا أو فعلا أو حركة في الحياة ، ذلك لأن امتلاكه لهذه الأسس الثلاثة جعلته صاحب حق في استخدام ما وهبه الله من هذه الامكانيات بحيث لا يحكم سلوكه الا الضمير الذى كونه الاسلام ، والحدود الشرعية التى تساعده على اصدار الأنماط السلوكية التى تتوافق وطبيعته النقية الطاهرة الخيرة ، والتى لا تجعله مدانا أمام خالقه ذلك لأنه مسئول وصدق قوله تعالى : ﴿ كلُّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَت رَهِينَة ﴾ (المدثر : ٣٨) ومن أجل ذلك فإن : ﴿ .. مَن يَعمل سُوءاً يُجزَ بِهِ ..﴾ (النساء : ١٢٣) ، ﴿ وَمَن يَعمل مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذكَرٍ أو أنثى وَ هُوَ مُؤمِنٌ فَأولَئك يَدخُلُونَ الجَنّةَ وَلاَ يُظلَمُونَ نَقِيراً ﴾ (النساء : ١٢٤) .

والمتدبر لآيات الله سبحانه وتعالى يجد أن الله يؤكد على مسئولية الانسان عن كل ما يصدر عنه من أنواع السلوك، ولهذا نجد أن الله ينبه الانسان إلى أنه لم يخلق عبثا فى هذه الحياة الدنيا ﴿ أفَحَسِبتُم أنّمَا خَلَقنَاكُم عَبَثاً وَ أنّكُم إلينَا لا تُرجَعُونَ ﴾ (المؤمنون : ١١٥) ﴿ أيَحسَبُ الإنسَانُ أن يُترَكَ سُدىً ﴾ (القيامة : ٣٦) ، ولذلك وجب أن يكون الانسان بصيرا على نفسه ﴿ بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَو ألقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ (القيامة : ١٤ - ١٥) وأن يدرك تمام الادراك أنه ﴿ وَأن ليسَ للإنسَانِ إلاّ مَاسَعَى * وَأنّ سَعيَهُ سَوفَ

يُرَى * ثُمَّ يُجزاهُ الجزاءَ الأوفى ﴾ (النجم : ٣٩ - ٤٠ - ٤١) ، وأن ﴿ .. كُلُّ امرئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور : ٢١) مؤكد على ان كل انسان مسئول عن عمله ﴿ وكُلَّ إنسَانٍ الزَمنَهُ طائِرهُ في عُنقِهِ ونُخرِجُ لهُ يومَ القيامَةِ كِتاباً يَلقَاهُ مَنشُوراً ﴾ (الاسراء : ١٣) ، ولهذا يدعوهم الى تقواه حيث لا ينفع الانسان يوم لقائه الا عمله الذى سيسأل عنه ﴿ واتَّقُوا يوماً لاتَجزِى نفسٌ عن نفسٍ شيئاً وَ لا يُقبلُ منها عَدل ولا تنفعُها شَفَعَةٌ ولا هُم يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة : ١٢٣) .

وبعد أن بين سبحانه وتعالى مدى المسئولية الملقاه على عاتق الانسان ، ونبهه ، وحذره من الاتيان بالسلوك السيء ، واطلق له العنان لممارسة حياته ممتلكا مختلف الأسس التى تمكنه من أن يتحكم فى سلوكه .. ولا يصدر منه الا ما يتفق وطبيعته - النقية ، الطاهرة ، الخيرة - ومنهج الله الذى بين الخير من الشر ، وحدد له الطريق السوى ، الذى يمكنه من ممارسة حياته وهو على درجة عالية من الصحة النفسية السليمة وعلى ثقة من لقاء ربه يوم القيامة وهو مطمئن فرح بما قدم من أعمال فى دنياه ، ذلك لأنه كان مسئولا ، ولذلك أمر الانسان بالعمل فى الحياة ، وممارسة دوره فيها ، وتحقيق الهدف من وجوده . ﴿ وَقُلِ اعمَلوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ الى عَالِمِ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تعمَلُونَ ﴾ (التوبة : ١٠٥)

وهناك سينال الإنسان جزاءه الأوفى حيث ان ﴿ ... مَن أعطَىٰ وَ أتقَىٰ * وَصَدَّقَ بالحُسنَىٰ * فَسَنُيَسِّرهُ لليُسرَىٰ * وَأمَّا مَن بَخِلَ وَاستَغنَىٰ * وَكَذَّبَ بالحُسنَىٰ * فَسَنُيَسِّرهُ للعُسرَىٰ ﴾ (الليل : ٥-١٠) ، هناك مع لقاء الله سبحانه وتعالى يجد الانسان ما قدم من أعمال وأفعال . ﴿ يَومَ تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ مَا عَمِلَت مِن خَيرٍ مُحضَرًا وَمَا عَمِلَت مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَو أنَّ بَينَهَا وَ بَينَهُ أمَدًا بَعِيدًا ﴾ (آل عمران : ٣٠) .

وهكذا من تتبع آيات الله البينات يجد عديدا منها تشير الى مسئولية الانسان ، ذلك لأنه عاقل ومفكر ، وحر ، ومالك لحرية ارادته ، ومختار بين البدائل ، ونشط فلا عائق يحول بينه وبين ممارسة حياته التى من أجلها خلق ، ليتسنى له تحقيق الهدف الأسمى الذى خلقه الله من أجله وصدق الله العلى العظيم قوله الحق ﴿ قَد أفلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَد خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (الشمس : ١٠-١١) ، ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفسِهِ وَمَن أسَاءَ فَعَلَيهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ ﴾ (فصلت : ٤٦) ذلك لأنه سبحانه وتعالى قد منح الانسان كل الوسائل والامكانيات التى تعينه على المحافظة على نقاء سريرته والحفاظ على طهره وخيره ، وأنزل الكتب التى أرسل بها الرسل لتبين للناس المنهج وحدوده ، وتركهم يعملون .

الانسان كائن حي نشط :

والانسان بحكم طبيعته ، والمهمة المكلف بها من قبل الله سبحانه وتعالى نشط ونشاطه أبدي لا يتوقف ما دام فيه عرق ينبض ، ذلك لأنه مكلف بعمارة هذا الكوكب ونموه وتطوره واذا لم يكن كذلك ما استطاع أن يحقق ما وكّل به من الخلافة فى الأرض ، والقيام بدوره المنوط به . ولذلك وهبه الله الامكانيات التى تساعده على تحقيق هذا الهدف ، ومن بينها النشاط والحركة والعمل الدائب المستمر الذى يعتبر من المقتضيات الأساسية للقيام بالخلافة ، اضافة الى المقتضيات السابقة ، العقل والتفكير الذى يمكنه من التدبر والتأمل ، والنقد والتمحيص ، وحرية الارادة والاختيار الذى يمكنه من ممارسة حركته فى الحياة باختياره مستخدما عقله وتفكيره فى كل حركة تصدر عنه أو سلوك يسلكه .

كما أن تسخير رب العزة كثيرا من مخلوقاتة للانسان يعتبر دليلا على أنه كائن حى نشط قادر على العمل ونشط فيه ، ولذلك سخر له الجبال والبحار والرياح ، والابل والانعام ، تسهيلا لاداء مهمته على الأرض ، وتحقيقا للهدف الذى من أجله خلقه الله ، ولهذا فقد سخر الله له ما فى الأرض جميعا ﴿ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِ وَمَاعَمِلَتهُ أيدِيهِم أَفَلاَ يَشكُرُونَ ﴾ (يس : ٣٥) ، ﴿ أَوَ لَم يَرَوا أَنَّا خَلَقنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَت أيدِينَا أنعَاماً فَهُم لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلنَاهَا لَهُم فَمِنهَا رَكُوبُهُمُ

وَمِنهَا يَأكُلُونَ * وَلَهُم فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشكُرُونَ ﴾ (يس : ٧١-٧٣) .

ولضمان أستمرار ممارسة الأنسان لنشاطه وحركته فى هذا الكوكب ، خلق الله الأنسان بفطرة معينة لديها عدد من الدوافع والبواعث ، والميول الفطريه التى تدفعه بصفه دائمة ومستمرة الى أن يكون نشطا ومتحركا و ليقوم بممارسة دورة المكلف به فى هذه الحياة ١ وهى دوافع إيجابيه خيرة ، لأنها تدفعه الى الاقبال على الحياة والسعى فيها إبتغاء تحقيق الهدف من وجوده واذا لم تكن هذه الدوافع كذلك ما استطاع الانسان أن يصل الى ما وصل اليه من مستويات الحضاره والمدنية فى مختلف بقاع الأرض .

وقد نظم الاسلام الدوافع الفطرية التى خلقها فى تكوينه البيولوجى ، بحيث تؤدى دورها على خير وجه ، فى حدود أوامر الله سبحانه وتعالى . فوضع لها الضوابط ، ورسم لها الحدود التى تسير وفقها ، ليتحقق الغرض من وجودها ، وهى دوافع قوية تجعله يسعى وينتشر فى هذا الكوكب ، ابقاء على حياته ، واستمرارا لها ، وتحقيقا للهدف الأسمى الذى من أجله خلق ، وهو من خلال ذلك كله يحقق ذاته ، ويثبت وجوده على هذه الأرض كما أمره الله . وبالاضافة الى ذلك فقد زوده الله سبحانه وتعالى بالجانب الوجدانى الانفعالى الذى يمكنه من التأثير على غيره ، والتأثر بهم ، بما يبعث فيه الحركة ، ويخرجة من سكونه اذا سكن الى حركة أخرى نشطة قوية تجعله

يسهم بدوره فى تحقيق الهدف الذى من أجله خلق ، وهو عمارة الأرض .

وإذا ما تتبعنا ايات الله البينات وجدنا أن الله يحث الانسان من حين الى آخر على ممارسة نشاطه فى العمل الصالح الذى يعتبر محك الايمان الفعلى له عندما قال : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (الملك : ١٥) ، وعندما يدفع الله الانسان الى ممارسة نشاطه وحركته فى الحياة يدعم هذا الدفع بأن من ينشط ويعمل عملا صالحا فله أجره ، ومن يعمل عملا طالحا فله جزاؤه . ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ (الروم :٤٢) وينال أصحاب العمل الصالح الأجر كاملا ، ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ (الروم : ٥٠) وأن الله لا يضيع أجر من يحسن العمل . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (الكهف : ٣٠) وهؤلاء الذين يمارسون نشاطهم فى العمل الصالح يعدون من أفضل عباد الله ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة: ٧) .

وهكذا عديد من الآيات تحض الانسان وتحثه على ممارسة نشاطه فى العمل وأن تكون حركته فى الأرض والحياة بشكل عام حركة هادفة للعمل الصالح الذى يعود على غيره بالخير تلبية لدعوة المنهج الذى رسم الخطوط الأساسية لنشاط الانسان فى هذه

الأرض ، وقد جعل الله العمل الصالح شرطا من شروط الايمان ، دفعا له الى ممارسة نشاطه فى الحياة أستمرارية هذا النشاط بممارسة العمل ، وكذلك نجد أن الله يدعو عباده الى الانتشار فى الأرض بعد آداء العبادة .﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (الجمعة : ١٠) .

وفى الوقت الذى يدعو الله سبحانه وتعالى الانسان الى ممارسة نشاطه وحركته فى الحياة ، فأنه يحذره من الكسل والتكاسل ، والخمول و التقاعس عن ممارسة هذه النعمة التى أنعم بها الله على عباده . ولعل ماورد فى قصة " مريم " حال ولادتها يدل دلالة واضحة على دعوة الاسلام للسعى وللنشاط والحركة فى الحياة طلبا للرزق عندما قال : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم : ٢٥) وفى هذا بيان من الله للانسان لضرورة ممارسة الحركة والنشاط . حيث إن الله قادر على أن يسقط عليها الرطب دون دعوتها لممارسة الحركة والنشاط بهز جذع النخلة وهى فى حالة من الجهد والاعياء بسبب الوضع .

كما أننا ندرك عن طريق تتبعنا لانجاز الانسان على الأرض أنه متطلع وطموح بحكم فطرته ، وهذا التطلع والطموح يدعوه دائما الى النشاط والحركة لتحقيق ما يصبو اليه من هذه التطلعات ، ولتجنيبه أسباب التخلف والهلاك ، ولذلك فهو بحكم هذه الفطرة نشط ، ومحب للعمل ، ساع اليه ، مدرك أهميتة وضرورة مزاولته

نشاطه ، والاقبال على العمل فى استمرار بقائه ، واستمرار حياة من يعول ، ومن أجل ذلك نجد أن نشاطه وسعيه يتعدى حدود السعى وراء طلب الرزق وعمارة الأرض الى محاولاته للكشف عن كثير من الظواهر الكونية ، واخضاعها لخدمة البشرية ، ولا يستطيع أى انسان لديه قدر من الادراك والفهم الا أن يقول حقا أن الانسان كائن حى نشط .

الخبرة الذاتية :-

أن الاسلام يعترف اعترافا بينا بذات الانسان كفرد له وجوده الذاتى المتميز عن غيره من الأفراد ، وذلك بناء على ما وهبه الله من القدرة العقلية ، والقدرة على ممارسة حرية الارادة والقدرة على النشاط والحركة ، والقدرة على تحمل المسئولية ، وحسن خلقه . ﴿ يَاأَيُّهَا الانسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ * الذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * في أيِ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار : ٦-٨) وفى هذا دعوة للانسان الى مراجعة ذاته ، وادراكه لكيفية خلقه ، وكيف أمده الله سبحانه وتعالى بكثير من مقتضيات القيام بالخلافة ، والتى عن طريقها يثبت ذاته ويحقق وجوده .

ومما يؤكد اعتبار الاسلام للخبرة الذاتية للفرد ما ورد فى كتاب الله سبحانه وتعالى

من حديث دار بين سيدنا موسى عليه السلام والخضر رضى الله عنه فى سورة الكهف . والذى طلب فيه موسى عليه السلام من الخضر أن يعلمه مما علم رشد . ﴿ هَل أتبِعُكَ عَلى أن تُعَلِمَنِ مِمّا عُلِمتَ رُشداً * قالَ إنّكَ لن تَستَطيعَ مَعِيَ صَبراً * وكيفَ تَصبِرُ عَلى مَالم تُحِط بِهِ خُبراً * قالَ سَتَجِدُني إن شَاءَ اللهُ صَابِراً ولاَ أعصِي لكَ أمراً * قالَ إن اتّبَعْتَنِي فلاَ تَسئَلنِي عَن شَيءٍ حَتّى أُحدِثَ لكَ مِنهُ ذِكراً ﴾ الى آخر الآيات (الكهف ٦٧-٨٢) التى تسرد واقع الأحداث التى جرت فى رحلتهما من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، واقامة الجدار ، والتى كان فى كل مرة يحدث الحدث يتساءل فيها سيدنا موسى عليه السلام متعجبا لهذه الأفعال ، متصورا أنها أفعال لا يجوز أن تحدث ففى الحدث الأول ، وصفه بأنه " شيئا إمرا" وفى الحدث الثانى وصفه بأنه "شيئا نكرا" وفى الحدث الثالث قال "لو شئت لاتخذت عليه أجرا" وعندما أخبر سيدنا الخضر موسى عليه السلام "بتأويل مالم يستطع عليه صبرا "تبين صحة ما أقدم عليه سيدنا الخضر من أفعال فى رحلته مع سيدنا موسى عليه السلام .

إن سرد هذه الأحداث ، والحوار الذى دار بين سيدنا موسى عليه السلام والخضر رضى الله عنه ، يشير الى أن الاسلام يعلم المسلم احترام الخبرة الذاتية للفرد لما لها من أهمية فى حياة الانسان ، وتفسير السلوك الانسانى تفسيرا صحيحا ، حيث كان

"الخضر" رضى الله عنه يأتى بسلوك يعترض عليه "موسى" عليه السلام دون ادراك منه بالخبرة الذاتية التى لدى "الخضر" رضى الله عنه ، والدوافع الكامنة وراء تصرفه وسلوكه خلال هذه الأحداث . وعندما علم "موسى" عليه السلام الخبرة الذاتية والدوافع التى جعلت سيدنا "الخضر" يخرق السفينة ، ويقتل الغلام ، ويقيم الجدار ، أقر بصحة السلوك الذى أصدره سيدنا "الخضر" رضى الله عنه .

ومع اعتراف الاسلام بذاتية الانسان ووجوده منفردا فإن الاسلام يحترم خبرته الذاتية ويعمل لها اعتبارا حال الاقبال على تفسير سلوكه ، ولعل الحوار الذى دار بين الرسول ﷺ ومعاذ بن جبل عندما أرسله الى اليمن ليعلم الناس شئون دينهم ، والذى يسأل فيه الرسولﷺ بم تقضى يا معاذ ؟ فقال بكتاب الله . فقال له الرسول : فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ فقال معاذ : أقضى بسنة رسوله. فقال النبى : فان لم تجد فى سنة رسوله ؟ قال اجتهد رأيى . قال النبى الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله[1].

يشير هذا الحوار الى امكانية اجتهاد معاذ بن جبل برأية ، وموافقه رسول الله على ذلك ، اذا لم يجد نصا فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وفى هذا اعتراف بالخبرة الذاتية لمعاذ بن جبل التى اكتسبها خلال اسلامه ، وجعلها موضوع اعتبار حتى فى مجال القضاء

---

(١) أحمد بن حنبل : المسند جـ٥ ، ص ص ٢٤٢/٢٣٦ .

وهذا الاعتراف يشكل أهمية بالغة فى نمط شخصية المسلم ، حيث تكون أكثر احساسا باحترام الاسلام لها واعترافه بذاتيتها .

ويحدثنا التاريخ الاسلامى عن استشارة النبى "ﷺ" فى كثير من أمور الاسلام والمسلمين أصحابه ، وأقرار أراء بعضهم والعمل بها . وفى هذا دليل واضح على احترام الاسلام للخبرة الذاتية للفرد وتقديرها ، ويرى أن لها أهمية كبيرة فى تسيير أمور المسلمين . وفى الوقت نفسه تشكل أهمية فى الاعتراف بقدرات الانسان والعمل على الاستفادة منها ، والاستعانة بها فى تفسير سلوكه تفسيرا سليما . الأمر الذى يؤدى الى الفهم السليم لما يصدر عن الانسان من سلوك ، وبما يؤدى الى الفهم الكامل المتبادل بين أفراد المجتمع ، مثل هذا الاعتراف بالخبرة الذاتية للانسان من شأنه أن يقضى على سوء الفهم لبعض أنماط السلوك التى تصدر من بعض الأفراد .

هذا ، ويشير الحوار الذى دار بين رسول اللهﷺ والصحابى الجليل الذى حضر بدرا ، وهو[1] "حاطب بن أبى بلتعة" والذى نقل الى قريش سر الجيش الزاحف الى مكة بقيادة رسول الله ﷺ - وكان الرسولﷺ قد دعا الله لهذا الجيش ألا تشعر به قريش - عن طريق جارية لبنى هاشم تسمى "سمارة" وعلم الرسولﷺ بهذا الأمر ..

---

(١) ابن قيم الجوزية : زاد الميعاد فى هدى خير العباد ، جـ١ ، ط ٢ ، ص ١٦٢ .

فأرسل على بن أبى طالب والزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، بعد أن حدد لهم مكانها ، ولما وصلوا اليها طالبوها بالكتاب الذى اعطاه اياها "حاطب" فأنكرت ، وعندما سددوا عليها أخرجته من بين ضفائرها ، وعندما تأكدوا أن هذا الخطاب من "حاطب" أرسل الرسول ﷺ ليحاسبه . قائلا له : ما هذا يا حاطب؟ واعطاه الفرصة للرد ، ومعرفة أسباب ارساله لهذا الخطاب . وسماع رسول الله ﷺ لرده الذى قال فيه "لا تعجل علىّ يا رسول الله فو الله انى مؤمن ما كفرت منذ اسلمت .. ولا غششتك منذ صحبتك ، ولكنى كنت حليفا لقريش .. وكان لكل من معك من المهاجرين قرابات يحمون أهليهم وأموالهم بها . ولى بين أظهرهم أهل وولد ، وليس لى عشيرة تحميهم ، فأحببت اذا فاتنى ذلك من النسب منهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ، ولم أفعله ارتدادا عن دينى ، ولا رضا بالكفر بعد الايمان " .

ومع أن هذه الواقعة تعتبر خيانة عظمى للإسلام وجيش المسلمين ، وتشكل خطورة بالغة على حياة المسلمين حال زحفهم الى مكة الا أن رسول الله "ﷺ" قد أعطى الفرصة كاملة "لحاطب بن أبى بلتعة" للرد على سؤاله وبيان أسباب ارسال هذه الرسالة ، ولما تبين للرسول ﷺ الأسباب التى دفعت "حاطبا" الى ارسال الرسالة ، عفا عنه وصفح ، وفتح للصحابى الذى أخطأ صفحة جديدة . ومن هنا يبدو واضحا مدى تقدير الإسلام للخبرة الذاتية للفرد فيما فعله الرسول ﷺ من اتاحة الفرصة "لحاطب" لبيان الأسباب التى دفعته

لارسال هذه الرسالة الى مكة ، التى تبين منها صدق نية الصحابى وأن ما أقدم عليه من ارسال هذه الرسالة لم يكن الا خوفا على أهله وولده ، وإلاّ ما عفا عنه الرسول ولكانت عاقبته القتل .

وهكذا ، اذا ما تتبعنا كثيرا من الأحداث التاريخية ، ومواقف الحوار بين الرسول "ﷺ" والصحابة ، اتضح احترام واعتبار الاسلام للخبرة الذاتية للفرد ، التى من شأنها أن تساعد على الفهم الصحيح لما يصدر عن الآخرين من أفراد المجتمع من سلوك ، دون تخبط فى التفسير لادراكه الاعتبارات والأسباب والدوافع الكامنة وراء السلوك الصادر عن الفرد ، والذى نطلق عليه "الخبرة الذاتية له" . وألا نفسر سلوك غيرنا من الناس على أساس خبرتنا الذاتية نحن وادراكنا لسلوكهم ، لأن ذلك قد يؤدى فى كثير من الأحيان الى خطأ التفسير .

الانسان ذو قيم :

ان الانسان فى الاسلام يتميز بالتزامه بعدد من القيم التى اكتسبها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية فى البيئة الاسلامية التى عاش فيها وانتمى اليها ، ذلك لأن الاسلام يهتم عن طريق عملية تربية الأبناء باكسابهم عددا من القيم ، وهذه القيم فى شكل تنظيم معين ومحدد يسهم فى تشكيل سلوك كل من الفرد والمجتمع ، وهو تنظيم

يمثل المبادىء والقيم العليا التى ينبغى أن يكون عليها شأن المسلم ، وهو تنظيم يتسم بالتناسق بين القيم بعضها بعضا بما يؤدى الى سواء الشخصية المسلمة وصحتها .

والقيم الاسلامية التى يزود بها الانسان المسلم قيم روحية أساسها الجانب الدينى الذى حدد أطارها ونبعت منه ، ومن أجل ذلك فهى قيم أكثر استمرارية وبقاء - كمحور أساسى من محاور الشخصية يشكل أهمية كبيرة فى التنظيم النفسى للانسان المسلم - عن غيرها من القيم الأخلاقية ذات المنبع المادى والأصول الوضعية ، التى تتطلب قانونا لحمايتها وتنفيذها ، ولذلك كثيرا ما نجد أن استمرارية هذه القيم مرتبطة ارتباطا وثيقا - الا فى القليل النادر من الناس - بمدى تواجد القانون كرقيب له سلطة التنفيذ على الفرد والمجتمع ، لهذا نجد أنه اذا غاب القانون ، أو انتقل الانسان الى بيئة أخرى ذات قيم مختلفة عن قيمة ، لها قانونها الخاص ، ولم يكن الفرد قد عمق قيمه التى اكتسبها فى بيئته الأولى فاننا نلاحظ عدم التزام الفرد بهذه القيم الا فى البيئة التى سنت قانونا لحمايتها وتنفيذها .

هذا ، ولقيم الانسان المسلم الذى نشأ فى بيئة ومناخ إسلامى صحيح قدرة عالية على أحداث التوازن النفسى للفرد والمجتمع ، فضلا عن قدرتها على تسهيل مهمة اختيار الفرد للأشياء والموضوعات ، والبت فى الأمور ، والانتقاء فى أقل وقت ممكن . ،من أجل ذلك فاننا نجد أن السلوك الصادر من الانسان المسلم سلوك محدد المعالم ،

واضح لا لبس فيه ولا التواء ، ذلك لقوة ما يلتزم به من قيم شكلت وحددت بخبرات اسلامية سابقة ، وأكد المنهج الاسلامى على ضرورة اكسابها لأفراد المجتمع الاسلامى عن ادراك ووعى لما يترتب على الالتزام بها من أنماط السلوك المحمود الذى يعلن عن نمط من أنماط الشخصية القوية السوية .

كما أنها قيم تتسق مع طبيعة الانسان الفطرية النقية الطاهرة الخيرة . حيث يكون من بين مقاصد وجودها فى الشخصية المسلمة المحافظة على بقاء هذه الفطرة السليمة ، فلا تتعارض معها، ولا مع بعضها بعضا ، وهى قيم تمثل واقع المجتمع المثالى الذى اراده الله سبحانه وتعالى للأمة الاسلامية ، لتكون أساسا لاعداد وبناء الشخصية المسلمة على أساس التحامها بافراد المجتمع الاسلامى الكبير ، فيصبح أكثر تميزا عن غيره من المجتمعات الأخرى ، أى أنها تصبح موحدا لسلوك أفراد المجتمعات الاسلامية مهما كانت المسافات المكانية والزمانية بعيدة ، وهى قيم تجعل أفرادها على درجة عالية من التوافق والتآلف والتآخى، والتفاعل الايجابى فى بناء وقوة المجتمع الاسلامى .

ولقد حرص الاسلام على غرس هذه القيم فى النفس منذ مراحل نمو الانسان الأولى ، وحث على ضرورة الالتزام بها والتعامل مع الناس وفقها فقال تعالى فى كتابه الكريم .

﴿ .. وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ..﴾

(المائدة : ٢) كما دعا الله سبحانه وتعالى الى الأعراض عن الجاهلية والتحلى بالعفو

﴿ خُذِ العَفْوَ وَأمُرْ بالعُرْفِ وَأعرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف : ١٩٩) ، والالتزام بالحلم والعفو ﴿ ... وَالكَاظِمِينَ الغَيظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحسنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٤) وأكد على ضرورة الالتزام بالأمانة والعدل ﴿ إنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أن تُؤدّوا الأمانَاتِ إلى أهلِهَا وَإذَا حَكَمتُم بَينَ النَّاسِ أن تَحكُمُوا بالعَدلِ ﴾ (النساء : ٥٨) ، ﴿ .. وَإن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسطِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ ﴾ (المائدة : ٤٢) وحذر من لا يتعامل بالعدل مع الناس ﴿ وَيلٌ لِلمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إذَا اكتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَستَوفُونَ * وَإذَا كَالُوهُم أو وَزَنُوهُم يُخسِرُونَ ﴾ (المطففين : ١-٣) . بعد أن أوصاهم بذلك ﴿ وَأوفُوا الكَيلَ إذَا كِلتُم وَزِنُوا بالقِسطَاسِ المُستَقِيمِ ﴾ (الاسراء :٣٥).

وأوصى سبحانه وتعالى الانسان أن يتميز بالرحمة وخاصة لمن يحتاج اليها كاليتيم والسائل ﴿ فَأمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقهَر * وَأمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنهَر ﴾ (الضحى : ٩ - ١٠) ، وحث على ضرورة أن يعين الانسان أخاه الانسان على التواصي بالحق والصبر ﴿ .. وَتَوَاصَوا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَّبرِ ﴾ (العصر :٣)، وأن يكون الانسان وفيا ﴿ وَأوفُوا بِالعَهدِ إنَّ العَهدَ كَانَ مَسئُولاً ﴾ (الأسراء :٣٤) كما دعا الانسان الى التواضع ﴿ وَلاَتَمشِ فِي الأرضِ مَرَحاً إنَّكَ لَن تَخرِقَ الأرضَ وَلَن تَبلُغَ الجِبَالَ طُولاً ﴾ (الأسراء : ٣٧) .

وهكذا عديد من آيات الله البينات التى تحث الانسان تارة ، وتدعوه تارة أخرى ، وتلتزمه ثالثة ، وتحذره رابعة .. وهكذا جل من هذه الآيات تتحدث عن قيم الانسان المسلم حق الاسلام وتبين أن من يلتزم بها حال تعامله مع نفسه ومع غيره من الناس له الجزاء الاوفى من خالقه . هذا ، فضلا عن الأثر السريع الناتج عن التعامل وفق هذه القيم فى الحياة الدنيا من اشاعة المحبة والود ، والتعاون والاخلاص .. وكل ما من شأنه أن يجعل المجتمع متماسكا قويا صحيحا .

هذا ، وقد خطى بعض المتخصصين (١) فى مجال علم النفس بعض الخطوات فى مجال القيم الدينية ذات المنبع الاسلامى وقدموا تصورا نظريا للتنظيم القيمى للشخصية الاسلامية عن طريق استخلاصها من القرآن الكريم ، والمعاجم العربية ، والكتب التى تناولت القرآن بالتصنيف الأبجدى، وقدموا هيكلا عاما للبناء القيمى للشخصية المسلمة.

ومن يفحص هذه الدراسة فحصا جيدا يجد أنها تشتمل على عدد من القيم التى يسهم كل منها فى بناء نمط الشخصية على أساس من التكامل بين فعالية كل قيمة من القيم التى قد توصل اليها الباحثان ، وأنها تعتمد على مستويين من التصنيف ، الأول:

---

(١) عبدالحميد الهاشمى وفاروق عبدالسلام . البناء القيمى كما ورد فى القرآن الكريم ، ندوة خبراء اسس التربية الاسلامية المنعقد فى المدة من ١١-١٦/٦/١٤٠٠هـ ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، جامعة أم القرى .

يعتمد على ثلاث أبعاد رئيسية وهى القيم المتصلة بعلاقة الانسان وربه ، وتلك التى تتصل بعلاقة الانسان مع نفسه ، والتى تنظم العلاقة بين الانسان والآخرين . والثانى : ويعتمد على ست أبعاد يعتمد فى تصنيفه على الأبعاد الثلاث السابقة "التصنيف الأول" ويضم القيم ذات الارتباط بالبعد الروحى ، والبعد البيولوجى ، والعقلى المعرفى ، والانفعالى العاطفى ، والسلوكى الاخلاقى ، والبعد الاجتماعى الخاص والعام .

وقد توصل الباحثان على أساس هذين التصنيفين الى ثلاثين قيمة أساسية ، وفيما يلى شكلان يوضحان الهيكل العام للبناء القيمى للشخصية والمحاور الأساسية لهذه القيم وكيفية تفاعلها مع الأبعاد الستة .

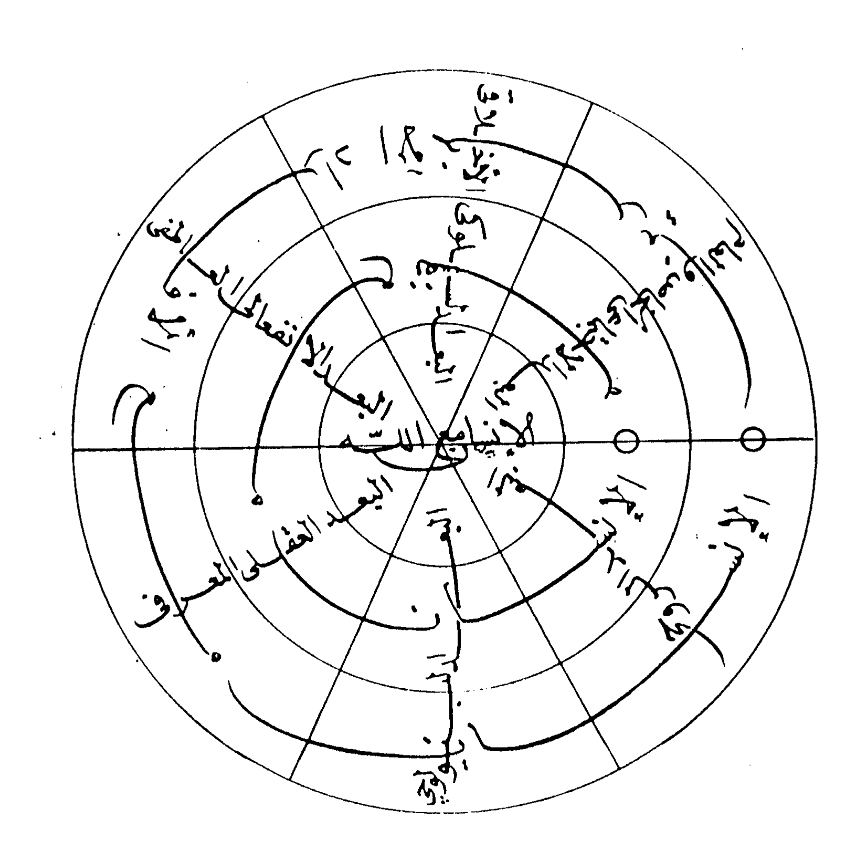
شكل رقم (١)

هيكل عام للبناء القيمي للشخصية

الايمان بالله

البعد الروحي	البعد البيولوجي	البعد العقلي المعرفي	البعد السلوكي الاخلاقي	البعد الانفعالي العاطفي	البعد الاجتماعي العام والخاص
التوحيد	رعاية الجسم	النشاط الحسي	الاحسان	المحبة	الأخوة
الصلاة	قوة الجسم	المسئولية الحسية	الأمانة	الرضاء	الدعوة الى الخير
التقوى	الاشباع	التفكير والتدبر	الكرم	الأمل	المعاملة الحسنة
الخشية	عمران الحياة	التعلم	الحلم	الاعتدال	المسئولية الاجتماعية
الرجاء	السعي لكسب الرزق	التعليم	الصدق		التعاون

(عبدالحميد الهاشمي وفاروق عبدالسلام ١٤٠٠هـ ،ص١٤٥)



شكل رقم (٢)

(عبدالحميد الهاشمى وفاروق عبد السلام ١٤٠٠هـ ص ١٦)

هذا ، ويؤكد الاسلام على أن الانسان يتميز بعدد من العوامل الايجابية تساعده على القيام بدوره المنوط به فهو محب ، والحب يعنى من وجهة نظر الاسلام الود الذى ينشأ بين أفراد المجتمع الاسلامى ، على أساس من الحب الخالص لوجه الله تعالى ، والذى تنعكس آثاره على سلوك كل من الفرد والمجتمع ، فيشيع بينهم ألفة وتعاون تراها واضحة فى مختلف مواقف الحياة التى يمر بها الانسان ، سواء كانت هذه المواقف سارة، أو غير سارة ، كما أنه يتميز كذلك بالقدرة على العطاء وعطاءه لا حدود له ، حتى أنه قد يصل الى حد بذل الروح والمال والولد من أجل تحقيق هدف أسمى فى حياته ، وذلك ابتغاء مرضاة الله .

وللانسان فى الاسلام قدر كبير من الاستقلال الذاتى ، ذلك لأنه يعد أمرا منطقيا على أساس ما منحه الله من قدرة العقل ، وحرية الارادة ، والقدرة على النشاط والحرية ، فهو بهذه الأسس لديه قدر عال من الاستقلال الذاتى مالم تهيئه بيئة أخرى لانسان . هذا ، فضلا عن اعتراف الاسلام بفردية المسلم حيث وهبه الله سبحانه وتعالى من مقومات الدفاع عن هذه الفردية ، والمحافظة على ذاته والسعى لتنميها بالوسائل المشروعة المحددة التى يتحقق من خلالها نمو الذات الانسانية المسلمة بصورة تختلف تمام الاختلاف فى تميزها عن غيرها من ذوات الآخرين . وهنا يشعر الانسان المسلم بهذا التفرد المتميز الذى خصه به الاسلام ، كما أنه مطالب باكتشاف ما لديه من قدرات عقلية ، وامكانيات ابتكارية ، ولذلك يحثه الاسلام على استخدام ما وهبه الله من هذه القدرات ، وتلك

الامكانيات ، ويدعوه الى حسن استثمارها ، من أجل ذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى يدفعه دفعا للتأمل فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار وفى حقيقته ، وكيفية خلقه ، وكذلك فى بقية مخلوقات الله .

الفصل الثاني

الحقيقة والواقـــــــع

رؤية الإسلام لطبيعة الإنسان والإدراك الإنساني لها

مقدمـــــــه :

أســفرت جهود علماء النفس فى مجال الفكـــر والبحث والتجريب عن ظهور مدرســـة جديدة من مدارس علم النفس ، وهى مدرســـة المذهب الانســـــانى Humanistic Psychology التى اطلق عليها القوة الثالثة * فى علم النفس ، والتى ظهرت فيما بين ١٩٥٠ ، ١٩٦٠م ، وذلك عندما اتسعت الهوة بين المستوى المادى للانسان والفراغ الروحى له فى المجتمع الأمريكى .

وقد أعترضت هذه المدرسة على رؤية كل من مدرسة التحليل النفسى ، والمدرسة السلوكية لطبيعة الانسان ، حيث رأت أن هاتين المدرستين قد جانبهما الصواب فى رؤيتهما لطبيعة الانسان . حيث رأت الأولى أنه عبد للغريزة ، وأنه غير عاقل ، وأنه عدوانى .. بينما رأت المدرسة السلوكية أنه عاقل ، إلا أنه غير متحكم فى عقله وأن البيئة هى التى تتحكم فى هذا العقل . وانبرت المدرسة الثالثة - المذهب الانسانى - لتدافع عن جوهر الانسان وطبيعته عندما ادركت انتهاك هاتين المدرستين لانسانية الانسان. حيث وصفته الأولى بما ليس فيه ، وسلبته الثانية أهم ما يتميز به وهو قدرته على التحكم فيما وهبه الله من العقل .

---

* الأولى مدرسة التحليل النفسى ، والثانية المدرسة السلوكية .

وقد تحدث عن هذا المذهب عدد من علماء النفس فى مصر وفى مقدمتهم د . عبد السلام عبد الغفار [١] (١٩٧٦) عارضا المنطلقات التى أعتمد عليها ، وموضحا الأسباب التى دعت أصحاب المذهب الانسانى إلى رفض كثير من مسلمات نظريتى التحليل النفسى والسلوكية ، مبينا وجهة نظر هذا المذهب فى طبيعته الانسانية وحقيقة جوهره .

وقد استثار المذهب الانسانى الباحث الحالى فقدم دراسة [٢] عن وجهة نظر المدارس الثلاث فى الانسان وطبيعته ملتزما بأسلوب العرض الذى قدمه استاذى [٣] لأصحاب المذهب الانسانى . وانتهت الدراسة بعد بيان أهم منطلقا تها وتوضيح رؤيتها للطبيعة الانسانية - بسؤال هو : هل بهذه النظرة الجديدة للانسان وطبيعته يمكن أن نجنبه كثيرا من مواقف الاضطراب والقلق ،أو نزيل عنه حدة الصراع والتوتر فى هذا العصر ؟ وذلك تمهيدا لاثارة الأذهان للاجابة عن السؤال الآتى : هل تستطيع وجهات النظر البشرية أن تصف حقيقة طبيعة الانسان وجوهره مهما اعتمدت على وسائلها فى مجالات البحوث

---

(١) مقدمة فى الصحة النفسية (١٩٧٦) .

(٢) دراسات ومقالات فى علم النفس (١٩٨٢) .

(٣) أ.د. عبدالسلام عبدالغفار أستاذ الصحة النفسية بكلية التربية جامعة عين شمس وعميدها السابق ووزير التربية والتعليم ورئيس جامعة عين شمس سابقا .

العلمية ؟ أم أن الذى يستطيع أن يصف هذه الحقيقه الخالق لهذا الانسان . والاجابة المنطقية هى أن كل صانع أدرى بصنعته ، فالخالق سبحانه وتعالى أعلم بما خلق ، وبطبيعة هذا المخلوق ، ولهذا قدمت رؤية الاسلام لطبيعة الانسان فى الجزء السابق لبيان حقيقة هذه الطبيعة البشرية ، ذلك لأن الله تعالت قدرته أعلم من البشر أنفسهم بهم ، وأفردت هذا الجزء لبيان رؤية الاسلام للطبيعة الانسانية ، وما أسفرت عنه عقول البشر أخيرا من فهم لهذه الطبيعة .

انتهى أصحاب[1] المذهب الانسانى الى بلورة أفكارهم وحددوها فى عدد من المنطلقات التى انطلقوا منها للحديث عن رؤيتهم للطبيعة الانسانية وفى مقدمة هذه المنطلقات قالوا : إن ....

الانسان خير :

وهم بهذا قد خالفوا وجهتى نظر التحليل النفسى والسلوكية ، وانطلقوا من نظرة جديدة لطبيعة الانسان قائلين انه خير وليس شريرا ، وأنه ايجابى ، ودعوا الى ضرورة التفاؤل بمستقبل أفضل اذا نظر للانسان من هذا المنطلق ، وراحوا يعددون الأسباب التى تحدث السلوك الشرير الذى يصدر عن الانسان ، من أنه نتاج البيئة ، وما يواجهه

---

(١) ارجع الى الانسان فى رأى مدارس علم النفس للمؤلف ص ٤ .

الانسان من تحديات بسبب تعقد أساليب الحياة وأسبابها ، وما يلقاه الانسان من احباطات مختلفة ، وإنكار لحقوقه الشرعية .

والحقيقة ان الاسلام قد سبق هؤلاء جميعا فى رؤيته للانسان على أنه خير - منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ويزيد . حيث تؤكد الشواهد والدلائل التى وردت فى الحديث عن طبيعة الانسان الخيرة النقية الطاهرة ، على أن حقيقة جوهر الانسان خيرة ونقية وطاهرة ، وأن ما يوصف به الانسان من شر انما هو نتاج واقع البيئة التى يعيش فيها ، وما يقدم عليه الشيطان من وسوسة للانسان لارتكاب الأفعال أو الاتيان بالأعمال التى نطلق عليها أنها شريرة .

الانسان عاقل:

وقد أشار أصحاب المذهب الانسانى إلى أن الإنسان يتمتع بقدرة عقلية ، وأن هذه القدرة هى التى تجعله أكثر ايجابية ، ويركزون بصفه خاصه على قدرات الانسان الابتكارية التى اذا اتيح للانسان حسن استثمارها لاستطاع أن يعبر عن أفكاره بحرية ، وذلك اذا ما هيىء له المناخ السليم لممارسة حرية التفكير ، وإذا ما رجعنا الى وجهة نظر الاسلام فى الطبيعة الانسانية تبين لنا أن الاسلام قد أكد على أهمية دور العقل(١)

---

(١) راجع الانسان عاقل ، ص ٢١ .

الانسانى ، ودعا الانسان من حين الى آخر الى ضرورة استخدامه فى كل ما يصدر له من أمور الحياة الدنيا ، والتدبر به فيما سيكون عليه حاله فى الحياة الآخرة ، كما أطلق للعقل الانسانى العنان فى ممارسة حرية التفكير حتى فى موضوع الايمان بالله خالقه ، كما جعل الاسلام مدى استخدام العقل الانسانى فى التفكير والتذكر معيارا للتفاضل بين بنى البشر .

ويتضح من مراجعة رؤية الاسلام للطبيعة الانسانية ، وخاصة فى اعترافه الصحيح والقوى بعقلانية الانسان ، والاهتمام به ، والدعوة الى الحرص على استخدامه ، والحث من حين إلى آخر الى ضرورة اعماله ، لدليل واضح منذ أمد بعيد على أن الاسلام يعامل الانسان على أساس يختلف تمام الاختلاف عن غيره من وجهات النظر البشرية التى توصل اليها الباحثون عن طريق الاجتهاد الذى قد يصيب وقد يخطىء .

الانسان حر :

كما أكدوا على أن الانسان حر ، وحريته فى حدود ما تسمح به امكانياته ، معترفين بأن هذه الامكانيات محددة بحكم تكوينه الطبيعى ، وأن هذه الحرية مرتبطة بمدى حرية الآخرين . ونادوا بضرورة منح الانسان حريته فى اتخاذ قراره بنفسه وتحديد الطريق التى يسلكها لتنفيذ قرارته ، وأنه اذا ما نال حريته استطاع أن يكون مشاركا

وفعّالا ومتفاعلا مع الآخرين .

وإذا ما تتبعنا رؤية الاسلام لطبيعة الانسان ، فيما يتصل بهذا المنطلق[١] ، فاننا نجد أن الاسلام قد منح الانسان حرية ارادته بما يمكنه من تحمل مسئولية التكليف الملقاه على عاتقه ، وبما يمكنه من أن يكون أكثر ايجابية ونشاطا لتحقيق الهدف الأسمى الذى من أجله خلق ، حتى أننا نجد أن حرية ارادة الانسان فى الاسلام تصل الى حد حرية الاعتقاد والايمان بخالقه. وأنها محدودة بحدود قدراته وامكاناته الطبيعية ، كما أنها محدودة بالحدود الشرعية التى تضمن أن تكون ممارسة الانسان لحريته فيما لا يلحق الضرر بنفسه وبالآخرين . فضلا عن وجود عوامل الضبط لهذه الحرية فى داخل الانسان نفسه ، وليست صادرة من خارجه كما هى الحال فى واقع حياة الانسان غير المسلم . حيث يحكمها قانون وضعى اذا غاب عنها مورست بصورة غير سليمة .

الانسان مسئول :

ويقرر المذهب الانسانى أن الانسان مسئول مسئولية كاملة عن عمله ، طالما منح ممارسة الحرية ، ولهذا فقد أكدوا على ضرورة فهم الانسان لنفسه ومعرفتها معرفة جيدة

---

(١) راجع للانسان ارادة حرة ، ص ٢٥ .

وأن ذلك يتم عن طريق تنظيم خبراته الماضية ، مما يساعده على نقد سلوكه الخاص ، حتى يستطيع احداث التكامل فى خبراته التى تعينه على معرفة ماضية ، وحاضره ، ومستقبله وبناء على ذلك يستطيع أن يكون مسئولا مسئولية كاملة حال ممارسته لحرية ارادته .

والمتأمل لواقع دور الانسان المسلم فى الحياة يجد أن الاسلام قد أثبت بما لايدع مجالا للشك أن الانسان[1] مسئول مسئولية كاملة عن كل مايصدر عنه من أقوال وأفعال وتصرفات . حيث منح كثيرا من مقتضيات تحمل المسئولية ، فقد منحه الله عقلا مفكرا ، وحثه على استخدامه فى كل شىء فى الوجود ،كما منحة حرية الارادة لينطلق فى ممارسة نشاطه وحركته فى الحياة بعد أن يفكر فى الهدف منها . ومن أجل ذلك أقر الاسلام منذ فترة طويلة من الزمن أن الانسان مسئول مسئولية كاملة عن كل ما يصدر عنه من سلوك ، سواء كان ذلك بالنسبة لنفسه أو للآخرين ، ولم يترك الاسلام الانسان بعد هذا القرار سدى انما يذكر الانسان من حين الى آخر انه مسئول عن عمله فى كثير من آيات الله البينات حتى لا ينسى الانسان فى أية لحظة من لحظات حياته ، وفى أى سلوك من تصرفاته أنه مسئول .

---

(١) راجع الانسان مسئول ، ص ٣٠ .

الانسان كائن حى نشط :

كما قدم المذهب الانسانى منطلقا آخر وهو أن الانسان كائن حى نشط . حيث إنه يتطلع دائما الى ما هو أفضل ويسعى الى تحقيق ذلك فى الحياة ، وأن الذى يعينه على ذلك عدد من الدوافع الداخلية التى تدفعه لتحقيق النمو ، وأن هذه الدوافع بحكم طبيعتها ايجابية . بحيث تمكنه من ممارسة دوره فى الحياة فى طريق النمو لتحقيق أهدافه ، وما يتطلع اليه ، ويؤكدوا أنه نشط فى اختياره بين البدائل التى يواجهها فى مواقف حياته المختلفة .

والحقيقة ان الانسان اذا نظر نظرة متأنية لحركة الانسان منذ أن نفخ الله فيه الروح الى أن يلقى ربه يجد دليلا على حتمية حركة الانسان ونشاطه[١]، وتؤكد نصوص القرآن الكريم على أن الأنسان كائن حى نشط ، ونشاطه دائم ومستمر ، وقد أعطى الاسلام كثيرا من هذه الأدلة التى تقرر هذا المبدأ ، كتكليف الانسان بالخلافة ، ذلك التكليف الذى يتطلب ضمن ما يتطلب الحركة والنشاط لتنفيذ ما أمره الله به ، وتسخير كثير من مخلوقات الله للانسان ، تلك التى تتطلب حركة ونشاطا ليتمكن من حسن الاستفادة منها . هذا ، فضلا عما زود به الانسان من دوافع فطرية فى تكوينه

---

(١) راجع الانسان كائن حى نشط ، ص ٣٤ .

البيولوجى ، والتى تعتبر ذات أهمية كبيرة فى دفع حركة الانسان لممارسة نشاطه فى الحياة . بالاضافة الى حث الاسلام الانسان المسلم على استمرارية العمل ، وما يتطلبه من النشاط الدائم والحركة المستمرة.

الخبرة الذاتية :

وقد أكد أصحاب هذا المذهب على ضرورة اعتبار تقدير الخبرة الذاتية للفرد حال الاقدام على تفسير سلوكه ، أى الخبرة كما يدركها ويمر بها الفرد ، وليس كما يدركها الآخرون ونادوا بضرورة الالتزام بالأساليب العلمية التى يمكن استخدامها للتعرف على الخبرات الذاتية للفرد كالتقارير الذاتية ، ودراسة الحالة ، .. وغيرها من الأساليب التى يتم عن طريقها ادراك الخبرة الذاتية للفرد كما يمر بها . فضلا عن ضرورة الاهتمام بمختلف الخبرات الحياتية التى يمر بها الانسان ، والتى يمكن أن تسهم بقدر كبير فى حل ما يتعرض له من مشكلات .

والمتتبع لواقع التاريخ الاسلامى الذى يسرد لنا كثيراً من المواقف والأحداث التى حدثت فى العصور الاسلامية الأولى ، وكذلك من يفحص بعض النصوص القرآنية فحصا دقيقا متأنيا يجد أن الإسلام[1] قد وضع اعتبارا للخبرة الذاتية للفرد ، وجعلها موضع

---

(١) راجع الخبرة الذاتية ، ص ٣٨ .

احترام وتقدير حال الأقدام على تفسير السلوك الانسانى ، وحال تنفيذ بعض الأمور التى تتعلق وتتصل بحياة ومستقبل الآخرين ، وذلك انطلاقا من اعتراف الاسلام بذات الفرد ووجوده المتميز عن غيره من مخلوقات الله. ومن أجل ذلك أخذ برأى الصحابة فى كثير من أمور حياة المسلمين ، وصدرت الأحكام على خلاف ما كان يتوقعه بعض الناس من وقائع الأحداث التى حدثت من بعض الصحابة تلك التى لو لم يحترم الاسلام فيها خبرة الفرد الذاتية لكان جزاءه القتل ، وفى هذا كله دليل واضح على أن الاسلام قد اعترف منذ أمد بعيد بالخبرة الذاتية للفرد.

الانسان ذو قيم :

أشار أصحاب المذهب الانسانى الى ضرورة الاعتراف بالقيم الروحية للفرد ، انطلاقا من أنها تقوم بدور اساسى وهام فى حياة كل من الانسان الفرد والمجتمع ، فهى التى تدفع بالانسان الى الاتيان بمختلف أنواع النشاط الانسانى الذى يتم عن طريق الاحساس بوجوده ، وتحقيق انسانيته مؤكدين على ضرورتها فى حياة الفرد ذلك لأنها تساعده على الاحساس بوحدته الذاتية التى عن طريقها يدرك من هو ؟ وماذا يريد أن يكون ؟ وأن هذا لا يمكن أن يتحقق الا عن طريق القيم الروحية التى يعتقدها الفرد .

والمتأمل فى واقع سلوك الانسان المسلم الذى نشأ فى بيئة اسلامية صالحة وفى سلوك مجموع الأفراد فى مثل هذه البيئة ، يستطيع القول بأن أهم ما يميز الانسان المسلم

تلك القيم التى غرسها الاسلام فيه وحرص على نموها ، واستمرار وجودها على درجه من القوة لتمثـل الأساس الذى يدفع الانسان لأن يسلك سلوكا حميدا يعود عليه وعلى غيره بالفائدة والخير .

والمتتبع لأيات الله البينات [١] يجد أنها تحث الانسان على ضرورة الالتزام بالقيم الاسلامية ، وهى قيم متعددة ومتميزه تسهم بقوة دفعها فى نمو مختلف جوانب الشخصية الاسلامية ، وتحدد أنماط السلوك التى يجب أن تصدر عن الانسان المسلم ، والتى تحقق الخير له ولأفراد المجتمع. ومن أجل ذلك فإن العمل بها يجعل المجتمع الانسانى على درجة قوية من التآزر والتماسك والتفاعل ، وهى قيم فى مجموعها تشكل تنظيما قيميا متكاملا ، يعمل على توازن الشخصية وسوائها .

وإذا كان المذهب الانسانى قد أضاف عددا من الأســس التى نادى بضرورة اعتبارها حال التعامل مع الانسان على أساس أنها عوامل ايجابية . حيث تسهم بقدر ما فيما يكون عليه الانسان الفرد من الاحساس بالوجود والشعور بالانسانية ، كالاسـتقلال الذاتى Autonomy للانسان ، واتاحة الفرصة أمامه لاكتشاف ذاته The Exploration of the self بما يساعده على فهمها فهما دقيقا ، والعمل على

---

(١) راجع الانسان ذو قيم ، ص ٤٣ .

تعزيز جوانب القوة منها ، والمودة Affiaction والتى يقصد بها حب الانسان لأخيه الانسان والذى يعتبر دافعا من أهم الدوافع الانسانية التى تميز الانسان عن غيره من الكائنات الحية .

واذا ما عدنا الى رؤية الاسلام للطبيعة الانسانية ، وتفهمنا منطلقاتها الأساسية ، وادركنا مدى التناسق بينها ، والتكامل بين هذه المنطلقات ، لأدركنا أن العوامل الايجابية التى أشار اليها أصحاب المذهب الانسانى - أكثر تواجدا لدى الانسان المسلم ، فمن منطلق حرية الارادة ، وامتلاكه لها ، واستخدامها فيما يصدر عنه من فكر ، وما ينتج عنه من ابتكارات جديدة وأصيلة ، ومن منطلق قدرة الانسان على النشاط والحركة يصل الانسان المسلم الى أعلى درجة من الاسقلال الذاتى ، ويستطيع أن يدرك ذاته حق الادراك ، ويكتشف مختلف جوانبها ، ونواحى قوتها وضعفها .

هذا ، والمتأمل لكثير من آيات الله البينات فى كتابه الكريم ، وكذلك ما صدر من أنماط السلوك الانسانى فى البيئات الاسلامية التى اتخذت المنهج الاسلامى خطأ عريضا أساسيا لتسير عليه أمور حياة الناس والمجتمع بشكل صحيح صادق . يجد أن الانسان المسلم أكثر البشر احساسا بالود تجاه أخيه ت الأنسان أيا كان جنسه وأيا كان دينه، فهو محب للانسانية. حيث يتفق هذا الاحساس بالمودة والحب مع طبيعته الخيرة ، ويبدو هذا أكثر ما يكون فيما يصدر عنه من سلوك يشير الى رغبة فى إفشاء السلام بين الناس،

وحسن معاملتهم ، ورفض الجور والظلم لغيره من الناس ، والتعاون معهم ، والحفاظ عليهم بصرف النظر عن صلة القرابة أو عدمها ، والتاريخ الاسلامى يخبرنا بكثير من المواقف الانسانية لعدد من المسلمين حكاما وعامة عاملوا غيرهم من الذين يدينون بديانات أخرى أفضل معاملة تنم عن أن الانسان المسلم الصحيح الصادق انسان محب ومعطاء .

وبناء على ما تقدم من عرض لوجهة نظر الاسلام فى الطبيعة الانسانية ، وما توصل اليه عدد من علماء النفس فى الفترة ما بين ١٩٥٠ الى ١٩٦٠ من عدد من المنطلقات رأوا أنه لابد أن يعامل الانسان على أساسها ، ودعوا الى ضرورة اعادة فهم الانسان من هذه الرؤية الجديدة وأن يبدأ علماء علم النفس فى الكشف عن الجوانب[١] الايجابية فى الانسان ، ذلك لأن معظم الدراسات والبحوث التى أجريت فى مجال علم النفس كانت تبحث عن الجوانب[٢] السلبية فيه ، كما أنهم يرون أن تكون وظيفة الانسان فى الحياة بشكل عام ، والمجتمع بشكل خاص هى خدمة الانسان ذاته . الأمر الذى يمكنه من تغيير شكل العالم بما يسهم به فى تطور الحياة ونموها ، وبما يساعد على تحقيق الرخاء والسواء النفسى لأخيه الانسان ، وعلى هذا فإنه يمكن القول بأن الاسلام قد

---

(١) راجع فلويد ما تسون Floyed Matson (١٩٧٣) .

(٢) راجع ابراهام ماسلو Abraham Maslow (١٩٦٢ - ١٩٧١) .

أكد على كل هذه المنطلقات منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ويزيد ، بل أن الاسلام قد توج هذه الرؤية بمنح الانسان المنهج الذى يمكنه من المحافظة على تلك الطبيعة اذا ما التزم به ، وسار على هداه ، واسترشد بأصوله فيما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتصرفات ، وقد ضمن الله للانسان الذى يحافظ على نقائه وطهره وخيره ملتزما بمنهجه، وحدوده فيما يقدم عليه من سلوك الأمان والاستقرار ، وصدق الله العظيم عندما قال : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٣٨) .

أقول هذا ، وأرى أن الاسلام برؤيته للطبيعة الانسانية ، وبمنهجه قد كفى الانسان مؤنة البحث ، وبذل الجهد بمحاولات نظرية أو تجريبية من أجل توفير قدر من الراحة والهدوء والاستقرار النفسى للانسان ، أو تجنبه الوقوع فى مواقف الصراع النفسى الذى يجلب له القلق والاضطراب ، بما يوفر على مثل هؤلاء العلماء جهدهم فى التفكير والبحث فى أمور تأكد وجودها منذ أربعة عشر قرنا من الزمان . ولو كان هؤلاء العلماء قد سعوا بفكرهم الى التعرف على طبيعة الانسان ، والكشف عن حقيقة جوهره فى أهم مصدر من المصادر التى تناولت بالتوضيح والبيان هذه الحقيقة ، ومعدن هذا الجوهر لكفوا أنفسهم مشقة التفكير والبحث بقدراتهم العقلية المحدودة لأن خالقهم قد أوضح ذلك وبينه للناس كافة علهم يدركون حقيقة جوهرهم ومعدنهم فيسعون للحفاظ عليه وفق منهجه الذى خطه سبحانه وتعالى لهم لأنه تعالت قدرته أدرى بمن خلق من دراية

الانسان المخلوق بنفسه أو بنفوس الآخرين . وبناء على ذلك كان من الممكن أن توجه جهودهم الفكرية الى البحث عن الوسائل والطرق التى تعين الانسان على استمرارية الحفاظ على الطبيعة التى منحها الله للإنسان وعلى الالتزام بمنهجه حفاظا على هذه الطبيعة ، وهم بذلك يكونون قد أسهموا اسهاما ايجابيا ، ووظفوا ما منحه الله سبحانه وتعالى لهم من امكانيات فى سبيل تحقيق أفضل مستوى من السواء النفسى لهم ولغيرهم من الناس .

الفصل الثالث

أسس الصحة النفسية في الإسلام

مقدمـــــــة :

أهتم علماء النفس ، وخاصة من يعملون في مجال الصحة النفسية بمعرفة الأسباب التى تحول دون أن يقع الانسان صريع المرض النفسى ، وجدوا فى البحث منذ فترة ليست بالقصيرة من أجل التعرف على هذه الأسباب ، بهدف تجنيب الانسان أسباب المرض والعمل على وقايته منه ، وارساء واشاعة عوامل السواء النفسى التى تكشف عنها البحوث والدراسات فى الميدان ، حيث أهتم أصحاب التحليل النفسى Psychoanalysis بالكشف عن العلة وراء الأمراض النفسية ، بهدف التعرف على أسبابها ، بينما وجد من الجانب الآخر عدد من علماء النفس يهتمون بالبحث عن عوامل السواء النفسى التى تجعل الانسان يحيا حياة نفسية سليمة ، حيث اهتم مؤسسوا علم النفس الانسانى Humansitic Psychology - بصفة خاصة - بهذا الجانب انطلاقا من رؤيتهم الايجابية للطبيعة الانسانية .

ومع هذا الاهتمام البشرى - الشديد المتواصل الذى لا ينقطع قط فى معظم دول العالم ومؤسساتها المعنية بهذا المجال - الذى يعتمد اعتمادا كليا على ما ينتجه العقل البشرى من فكر ، وما يصل اليه من نتائج تجاربة ، فاننا نلاحظ أن الشعوب ، والدول التى تولى هذا الأمر عناية لا مثيل لها ، وكذلك الحال بالنسبة لشعوب ودول العالم الثالث - لم يستطيعوا أن يصلوا الى المستوى الذى يتطلعون اليه من حيث السواء

النفسى للانسان ، وهذا ما دعا الباحث الحالى الى امعان النظر ، والتأمل الشديد فيما اطلع عليه من أفكار ونتائج * البحوث فى مجال الصحة النفسية ، والتى يمكن أن توصف بأنها فى غاية من الدقة والاتقان والامانة العلمية ، تلك التى كان يهدف أصحابها الى الاستفادة من نتائجها فى تهيئة مناخ نفسى سليم ، لتحقيق مستوى أفضل من السواء النفسى للانسان .

ومع ما وصل اليه مؤسسوا علم النفس الانسانى من نتائج بحوثهم التى تشير الى تناولهم ما سيكون عليه الانسان من مستوى السواء النفسى ، الا أنه يلاحظ أن جهود السابقين واللاحقين فى هذا المجال لم تسفر عن تحقيق ما كانوا يصبون اليه من جعل الانسان على مستوى أفضل من الصحة النفسية .

ومن الملاحظ - أيضا - أن الانسان قد جرب كافة أساليب الحياة وأسبابها التى تصور أنها تحقق له الاحساس بالاستقرار والهدوء والراحة ، والتى تنتهى بتحقيق مستوى أفضل من السواء النفسى فأقبل على ضروب المتع المادية فما نال منها ما يهدف اليه ، بل يلاحظ- كذلك - أن تعوده على مثل هذه المتع المادية قد أدخلته بقوة دفع شديدة فى دائرة الطمع والجشع المادى الذى أدى به الى بذل جهده فى سبيل جمع المال بصرف النظر عن

---

* انظر نبيه ابراهيم اسماعيل . العوامل النفسيه المرتبطه بالصحة النفسية السليمة (١٩٨٠) .

مشروعية الطرق والوسائل التى يجمع بها المال ، مما أدى به الى نهاية لا يحسد عليها . حيث يعانى من مزيد من الاحساس بالهم والغم ، والتفكير الدائم المستمر فى المال ، والمال فقط. الأمر الذى جعله لا ينعم - بما جمع من مال - بالاستقرار والهدوء النفسى الذى كان يرجو من ورائه جلب وتحقيق كافة أسباب المتع المادية ، ظنا منه أنه كلما توفرت وسائل تحقيق الامتاع المادية استطاع أن يحيا حياة نفسية أفضل .

وإذا ما تدبر الانسان واقعة الذى يعيش فيه خاصة فى هذا العصر ، وأعمل عقله ، فانه سيدرك - بلا شك - أن وصوله الى الاستقرار والهدوء النفسى لا يتحقق بالمال وحده ، أو بالعلم وحده ،أو بالصحه وحدها ، أو باشباع الغرائز وحدها ، ذلك لأن الملاحظة العادية والعابرة على كثير من الناس الذين ظنوا هذا الظن تؤكد أنهم لم يستطيعوا أن يحققوا قدرا مما تطلعوا اليه ، لاستمرارية شعورهم بعدم الاحساس بالأمن النفسى . وهذا ما جعل الباحث يجول بفكره فيما يمكن أن يهيىء للانسان حياة نفسية أفضل ، فلم يجد سوى ضرورة التزام الانسان واتباعه منهج الله الواحد الأحد ، ذلك لأنه سبحانه وتعالى أدرى بطبيعة وجوهر مخلوقه ، وأعلم بأى العوامل والأسس التى يمكن أن تجعله على أعلى مستوى من السواء النفسى ، فهو سبحانه وتعالى قادر على انزال السكينة فى قلب المؤمن الحق ، وتحقيق الطمأنينه له ، لأنه وحده القادر أن يقى الانسان ويحفظه مما يلحق به ، ويحدث له فى دروب الحياة من القلق والاضطراب اذا التزم واتبع الانسان

منهج الله الواضح المعالم ، المحدد الأبعاد ، الذى به يصلح الانسان حياته ، وصدق قول الله تعالى اذ يقول : ﴿ ... فَلَنُحيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل : ٩٧) ، ذلك لأن الله تعالى تولى كثيرا من أمور حياة الانسان فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ﴿ نَحنُ أولِيَاؤكُم فى الحَيَاةِ الدُنيَا وفى الأخِرَةِ ﴾ (فصلت : ٣١) وبدون عون الله وقدرته لا يستطيع الانسان مهما أوتى من أسباب الاستقرار والهدوء النفسى التى يظنها محققة لذلك لا يستطيع أن يحقق ما يسعى اليه وهو أن يحيا حياة نفسية هادئه . وهذا ما جعل الباحث ينتهى الى تحديد عدد من الأسس الاسلامية التى يمكن أن تحقق السواء النفسى للانسان وفى مقدمتها وعلى رأسها الايمان بالله الواحد الأحد .

أولا : الايمان بالله الواحد الأحد

مفهوم الايمان : -

تشير المعاجم العربية الى أن الايمان يعنى التهذيب والتصديق ، ولذلك يذكر ابن منظور (ب.ت : ١٠٧ - ١١٠) صاحب لسان العرب أن الايمان ضد الكفر ، وأن الايمان يعنى التهذيب والتصديق ، ويؤكد على أن اللغويين يتفقون على أن الايمان يعنى التصديق ، كما أنه يستعمل اسما للشريعة التى جاء بها محمد "ﷺ" ويوصف به كل من دخل فى شريعته ، وأقر بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا .

والايمان بهذا المعنى لا يعنى اعتراف الانسان بالقول بأنه مؤمن فقط تصديقا لقوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ (البقرة :٨) أو الايمان بالتبعية ذلك لأن الايمان الصحيح لا يمكن أن يتحقق عن طريق التقليد ، بل لابد من استخدام العقل للوصول الى الايمان الحقيقى ، وهذا ما يؤكده علماء الدين ويهتمون به . حيث أشاروا الى أن الايمان بالله سبحانه وتعالى لا يقصد به أن يكون قولا يعلن ، أو شهادة ينطقها الانسان ، ويستشهد بقراءة آيات من القرآن ، أو معرفة بالدين تلقن لمن لا يعرفها ، أو نصائح تقدم لمن يخطىء .

كما يتفقون على أن الايمان الحقيقى هو التصديق بالجنان ، والأقرار باللسان ،

والعمل بالأركان . وقد اعتبر التصديق هو الأساس الأول ، والاقرار باللسان هو المطلب الثانى ، حيث يعلن الانسان هذا التصديق القلبى ، والعمل بالأركان هو الأساس الثالث المتمم لحقيقة الايمان . حيث ينطلق الانسان الى العمل بكل أوامر الله سبحانه وتعالى من فرائض ونوافل ، وممارسة كافة الشعائر والعبادات من صلاة وصيام وزكاة .. وكل أمر دعا فيه الله سبحانه وتعالى الانسان الى الاتيان به ، كى يثبت تصديقه بما آمن به .

هذا ، بالاضافة الى الانتهاء عما نهى عنه سبحانه وتعالى من المحرمات والشبهات سواء كانت صغيره أو كبيرة ، قليلة أو كثيرة ، معلنة أو خفية وكلها أعمال يعلمها الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض أو فى السماء . ولذلك وجب على الانسان المؤمن ايمانا حقيقيا أن يسعى بكل ما يملك من قدرات وامكانيات الى أن يأتمر بأوامر الله ، وأن ينتهى عما نهى عنه ، وأن يتم ذلك بدرجة عالية من الاتقان والدقة ، وصدق رسول الله "ﷺ" اذ يقول [١] ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " .

(١) اسماعيل بن محمد العجلوانى الجراحى ، كشف الخفاء ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ ، رقم الحديث ٧٤٧ .

وهذا يعنى أن الانسان المؤمن لابد أن يكون تصديقه جازما ، وأن يكون سلوكه مطابقا لهذا التصديق ودليل عليه ، ما ورد فى الأثر من أن الايمان ليس بالتمنى ولا بالتحلى ، ولكن ما وقر فى القلب ، وصدقه العمل . حيث إن الأيمان الحقيقى للانسان يبدو فى صدقه مع نفسه فيما آمن به فيأتمر بأوامر الله ، وينتهى عما نهى عنه ، وفى صدقه مع غيره فيما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتصرفات تدل على تصديقة لأوامر الله. وأن يكون ذلك على أساس مراقبته لله فى كل وقت ، وفى كل مكان ، فإن لم يكن الانسان يرى الله ، فإنه سبحانه وتعالى يرى الإنسان أى أن الإيمان يكون بصدق الانسان مع الله ، وبصدقه مع نفسه ، وان فعل ذلك فإنه يصدق مع غيره من الناس ، وبذلك يترجم الايمان الحقيقى الذى وقر فى قلبه ، وصدقه لسانه الى عمل بالأركان فى كل ما يصدر عنه من سلوك فعلى فى حياته مع نفسه ، ومع الآخرين .

<u>المفهوم الاجرائى للإيمان :-</u>

وأقصد بالمفهوم الاجرائى للإيمان ، الترجمة الصحيحة لأسسه ، بمعنى أن من يؤمن بالله الذى لا اله الا هو الواحد الأحد ، لابد أن يكون عارفا معناها ، وعاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا ، وذلك لايتأتى الا بيقين القلب بهذا المعنى ، فيدرك الانسان المؤمن أن لا معبود بحق الا الله وحده ، وبذلك يؤكد الانسان اثبات وحدانية الله، وأن لا شريك له ، وفى هذا تأكيد للنفى بأن لا اله الا هو سبحانه وتعالى ، وأن الله هو المستحق للالوهية ،

وبذلك تنتهى الألوهية عمن سواه ، وتثبت له سبحانه وتعالى وحده، ولا يتصل الانسان المؤمن بالله الواحد الأحد الى أثرها النفسى الا بعد معرفة هذا المدلول نفيا واثباتا، ذلك لأن الايمان الاجرائى لا يقف عند تحديد الألفاظ والكلمات المعبرة عنه قولا فقط- ولو كان ذلك - لقالها كفار قريش ، إلا أنهم امتنعوا عن قولها لإدراكهم مايترتب عليها من التزامات وتبعات وأفعال سلوكية .

كما يتطلب وصول الانسان المؤمن الحق الى المستوى الاجرائى للإيمان بالله والواحد الاحد أن يؤمن بملائكته وكتبه . فلا يشك فى وجود الملائكة ، ولا فى الكتب التى أنزلها الله ، وكذلك الايمان برسله ، وهذا الاساس يدعو المسلم الى الايمان برسل الله جميعا والى أن يشهد بأن محمدا عبده ورسوله، وهذا يعنى التصديق بما أخبر به عليه الصلاة والسلام، والطاعة فيما أمر ، والانتهاء عما نهى قولا وفعلا، وكذلك الايمان المطلق بالبعث بعد الموت، وهذا يدعو المسلم الى ضرورة الالتزام بأوامر الله ورسوله فى كل حركة من حركات الحياة، وتحويل كل الأوامر الى واقع سلوكى يصدر عنه فى تعامله مع الناس، ايمانا منه بالبعث بعد الموت للقاء ربه للحساب ثوابا أو عقابا ، بالاضافة الي الايمان بالقدر خيره وشره ، فلا يفرح بالخير فيطغى، ولا يجزع من الشر فييئس ، وبذلك ينضبط السلوك الانسانى، وفق منهج الايمان المحدد المعالم والأهداف والغايات، فيتحقق بذلك التوازن للشخصية المسلمة المؤمنة .

وقد وافق علماء الاسلام على صحة هذا المفهوم الاجرائى للإيمان بالله الواحد الأحد عندما أجمعوا * على أن ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى، ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل ، وأن الايمان تصديق وعمل واهتداء ، وصدق رسول الله "ﷺ" اذ قال : ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل .. " هذا ، وفى حوار رسول الله " ﷺ" مع "حارثة " دليل على ضرورة تحويل مفهوم الايمان بالله الواحد الأحد الى واقع فى حياة الانسان ، وذلك عندما سأل الرسول "ﷺ" حارثة بن سراقه [١]فقال له النبى "ﷺ" كيف أصبحت ياحارثه ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا ، قال : انظر ماذا تقول ؟ فإن لكل حق حقيقة ، قال : يارسول الله ، عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى ، وكأنى بعرش ربى عز وجل بارزا ، وكأنى انظر الي أهل الجنة يتزاورون فيه ، وكأنى انظر الى أهل النار يتعاوون فيها ، قال "الزم عبد نوّر الله الايمان فى قلبه. ذلك لأنه ضبط سلوكه وفق منهج الله تحقيقا وتصديقا للإيمان به سبحانه وتعالى ، فأصبح كأنه ينظر الجنة ومن فيها، والنار ومن فيها ، وقد أشار [٢] عمر بن عبد العزيز الى المفهوم الاجرائى للإيمان عندما ارسل الى عدى بن عدى يذكره بأن الايمان الحقيقى يفرض على الانسان المؤمن أن

---

* لمزيد من المعرفة ارجع الى الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد، ، الرياض: الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء. ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

(١) عز الدين بن الأثير . أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، جـ (١) ، ص ص ٤٢٥/٤٢٦.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، جـ (١) ، ص ٤٥.

يلتزم سلوكيا بفرائضه وشرائعه وحدوده وسننه عندما قال : " ان للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا ، فمن استكملها استكمل الايمان، وان لم يستكملها لم يستكمل الايمان. والايمان الحق، الايمان بوجود الله الواحد الأحد، هو الايمان الذى تدركه كل فطرة إنسانية سليمة ، والتى لم تسع الي تغيير طبيعتها، والتى لم تتعرض لأسباب الافساد ، ذلك لأن الفطرة الانسانية تدرك وجود الله ، فهى تحس به و وتشعر بوجوده ، وتعرف أنه موجود. وهذا ما يؤكده فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (١٩٨٠: ٢٩) عندما قال : إن الله موجود فينا بفطرتنا ، نحس به ، ونشعر بوجوده ، ونعرف أنه موجود " .

هذا ، ووجود الله الواحد الأحد يمكن أن يبدو واضحا وجليا اذا وجه الانسان حواسه الخمس ، وما يستشعره - الحاسة السادسة - خلال عملية تأمل الوجود بما فيه ومن فيه الى التأمل العميق، فيعلم الانسان أنه يوجد خالق مبدع لهذا الكون ، وأن قوته لا حدود لها ، ،وذلك بناء على النتيجة التى يتوصل اليها من عملية التأمل ، وهى الإعتراف بأنه سبحانه وتعالى مُوجد هذا العالم .وبناء على معرفة أن قوة الله تصل فى علوها وتفوقها الى أنها تفوق قدرة العقل البشرى ، والحواس ، ولذلك فان النقوس النقية الطاهرة الخيرة التى حافظت على تكوينها الطبيعى الفطرى لا تجد صعوبة فى الشعور والاحساس والادراك والاعتراف بوجود الله سبحانه وتعالى، وأنه لا شك مطلقا فى أن مبدع هذا الكون ومنظمه واحد أحد فرد صمد.

وإذا أراد الانسان ادراك وجود الله الواحد فان دلائل هذا لاحصر لها اذا ماتدبر هذا الأمر فى نفسه أولا ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات : ٢١) حيث إن الفطرة السليمة - كما سبق القول- لديها إحساس قوى بوجود قوة عليا منشئة لهذا العالم مسيطرة عليه، وفى داخل كل نفس من هذا النوع احساس يؤكد تلك الحقيقة ، فاذا تأمل الانسان وفكر فيمن أوجده ؟ وكيف وجد ؟ ولماذا وجد فى هذه الدنيا ؟ فإن الاجابة تصل من داخله لتؤكد له دون عون أو مساعدة من أحد أن الله خالق لهذا الكون ومبدعه واحد أحد.

هذا ، وهناك دليل يؤكد ما سبق ذكره من ادراك فطرة الانسان السليمة لوجود الله الواحد الأحد ، المسيطر والمهيمن على هذا الوجود ، وهو ما يذكره علماء اللغة من أن الانسان يدرك منذ مراحل نموه الأولى مفهوم الموجودات قبل معرفة أسمائها ، وهو مايطلق عليه المفهوم العميق Deep structure , ثم عندما يصل الى مستوى النضج فى الجهاز الصوتى يدرك المفهوم السطحى Surface structure وهو الكلمة أو المفردة التى تعبر عن المفهوم العميق، ذلك لأن الموجودات توجد أولا ثم تسمى بعد ذلك ، فالله سبحانه وتعالى موجود قبل الموجودات لأنه خالقها ومبدعها ، ولهذا نجد أن كلمة الله، كلمة موجودة فى جميع لغات العالم ، وهذا دليل على وجود الله الواحد الأحد . ولهذا نجد أن الانسان سواء كان صغيرا أو كبيرا ، جاهلا أو عالما يدرك منذ البداية معنى مفهوم كلمة

الله ، ومما يؤكد هذا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ (الاعراف : ١٧٢) هذا ، ويعتبر فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (١٩٨٠ : ٣٢) أن محاولة انكار وجود الله اثبات فى حد ذاتها . عندما قال : " إن الشك فى وجود الله سبحانه وتعالى هو اثبات لهذا الوجود " .

وبناء على ما تقدم من بيان أن الايمان الحقيقى يدعو الى الايمان بوجود الله الواحد الأحد ، وان الانسان اذا آمن عن يقين بوحدانية الله الخالق المبدع المسيطر على هذا الكون فإنه لا يصاب بقلق أو اضطراب حيال ما يجد فى حياته من أمور تثيره وتجعله فى حالة من عدم السواء النفسى ، ذلك لأن يقين مثل هذا المؤمن يجعل الله ينزل عليه السكينه والرضا والاطمئنان لاعتقاده الجازم بأن مالك هذا الوجود هو الله ، وأنه لا مبدل ، ولا مغير لما هو فيه الا الله سبحانه وتعالى ، وأن الله لطيف وخبير بعباده ،.ومن هنا يصل الانسان الى درجة من الاطمئنان النفسى الذى يجعله على درجة من الاستقرار والهدوء .

والأمريكون على خلاف هذا بالنسبة لنفسية الكافر بوجود الله ووحدانيته ، فإنها تظل متعبة ، ومضطربة ، وقلقة إلى أن تقوم الساعة لتعمدها اتخاذ كافة الأسباب والأساليب لاخفاء حقيقة هى تدركها تمام الادراك ، بغية خفض حدة التوتر الناشىء عن

الخوف من العذاب ، ولذلك فهى تدعى عدم وجود الاله الواحد الاحد، وبالتالى عدم وقوع العذاب . وهي بذلك تتخيل أنها قد أمنت واطمأنت ، إلا أن واقع الأمر على خلاف هذا ، لأن تلك المحاولة تعد من المحاولات الخادعة التى يطلق عليها علماء النفس ميكانزمات الدفاع أو آليات الدفاع defence mechanisms وهى وسائل غير سليمة لخفض التوتر الناشىء عن أمور غير قادر على حلها أو الوصول الى تحقيقها ، وبالتالى يصبح أثرها وقتيا ، وغير قادر على الاستمرار فى تحقيق الاستقرار النفسى الذى تتطلع إليه مثل هذه النفس . ولهذا فإن النفس الكافرة لا يمكن أن تصل الى درجة من الأطمئنان مهما استخدمت من الحيل أو توافر لديها من كافة أسباب الاحساس بالأمن والطمأنينة .

والايمان الحقيقى بالله الواحد الأحد ، يتضمن الايمان بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى ، ويعد هذا متعلقا أساسيا للتصديق ، فطلب الرزق لا يكون إلا من الله مصداقا لقوله تعالى : ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ (العنكبوت : ١٧) واذا ما توجه الانسان الى الله طلبا للرزق تحرر من العبودية الا لله ، وأما من لا يؤمن بالله فإنه يصبح أسيرا لمخلوق مثله ذليلا أمامه وصدق رسول الله "ﷺ"[١] من يستغن يغنه الله . ومن يستعفف يعفه فى طلب الرزق مصداقا لقوله : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ (الشرح : ٧ - ٨) ، ولا يوجه السؤال فى طلب الرزق الا الى الله ﴿.. وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ (النساء : ٣٢) .

---

(١) صحيح مسلم ، جـ٢ ، ص ٧٢٩ ، كتاب الزكاة / باب فضل التعفف والصبر ، رقم الحديث ١٠٥٣ .

وقد أكد الله لعباده المؤمنين فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم أنه كفيل برزق مخلوقاته عندما قال : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرضِ إلاَّ عَلَى اللهِ رِزقُهَا .. ﴾ (هود :٦) ، ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزقُكُم وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات : ٢٢) وسبحانه القائل ﴿ قُل أغَيرَ اللهِ أتَّخِذُ وَلِياً فَاطِرِ السَّمٰوات وَالأرضِ وَهُو يُطعِمُ وَلاَ يُطعَمُ .. ﴾ الأنعام : ١٤) ، وتعالت قدرته هو الطاعم الساقى لعباده ﴿ وَالَّذِى هُوَ يُطعِمُنِى وَيَسقِينِ﴾ (الشعراء :٧٩)،﴿ .. كُلُوا وَاشرَبُوا مِن رِزقِ اللهِ .. ﴾ (البقرة : ٦٠) ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُم اللهُ حَلَـٰلاً طَيِّبا ﴾ (المائدة : ٨٨) ، وهكذا يؤكد الله من حين لآخر على أن الرزق بيده سبحانه وتعالى وليس بيد أحد من مخلوقاته ﴿ انَّ اللهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴾ (الذاريات : ٥٨) ، ﴿ وَكَأَينَ مِن دَابَّةٍ لاَ تَحمِلُ رِزقَهَا اللهُ يَرزُقُهَا وَإيَّاكُم وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ (العنكبوت : ٦٠) فهو سبحانه وتعالى كفيل بارزاق مخلوقاته .

هذا ، وعلى الانسان المؤمن الحق بالله الواحد الأحد أن يكون على يقين من أن سعة الرزق بيد الله وليست بيد أحد من مخلوقاته ، فهو وحده سبحانه وتعالى القادر على أن يوسع على عباده أو يضيق فى مقدار هذا الرزق مصداقا لقوله تعالى: ﴿ اللهُ يَبسُطُ الرزقَ لِمَنَ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقدِرُ لَهُ إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيمٌ ﴾ (العنكبوت : ٦٢) سبحانه بيده مقاليد الأمور لا يملكها الا هو ، هو الذى يملك الأرزاق

ويقدرها ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الشورى : ١٢) بيده كل شيء ، ولذا وجب على الانسان المؤمن أن يدرك تمام الادراك أنه ليس للانسان مهما كان مركزه أو قوته ، أو سلطانه أن يتوهم بأن الأرزاق وسعتها وضيقها بيد الناس ، وأن يعلم أن الانسان مجرد سبب يجرى الله على يديه الرزق وليس هو المعطى ، أو المانع أو الباسط أو المقدر للرزق لأن الله سبحانه وتعالى وحده مقسم الأرزاق . مصداقا لقوله تعالى : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَـٰوةِ الدُّنْيَا) (الزخرف : ٣٢) .

ويجب أن يكون الانسان المؤمن الحق بالله الواحد الأحد على علم ويقين بأن الله لطيف وخبير بخلقه يعرف ما يصلح شأنهم ، وما يفسدهم ، ولذلك فهو يبسط الأرزاق لبعض العباد ، ويحدد عطاءه بمقدار معين لبعضهم ، فبسطه تعالى وتحديد عطائه لصالح حياتهم ، سبحانه تعالت قدرته اعلم بعباده خبير بذواتهم ، وصدق قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (الشورى : ١٩) ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾ (الاسراء : ٣٠) .

كما أن الله سبحانه وتعالى قد حذر الانسان المؤمن من الخوف من العوز والفقر

والجوع ، لأن ذلك ليس بيد البشر ، إنما ذلك بيد الله سبحانه وتعالى الذى قال وقوله الحق ﴿ وَلاَتَقتُلُوا أولَـٰدكُم خَشيَةَ املَـٰـق نَحنُ نَرزُقُهم وَيّاكُم ﴾ (الاسراء : ٣١) ، وقال ﴿ وَلاَ تَقتُلُوا أولَـٰدكُم مِّن إملَـٰق نَحنُ نَرزُقُكم وَإيّاهُم ﴾ (الأنعام : ١٥١) فالأرزاق محدده سلفا لعباده ، وهو تعالت قدرته كفيل بها مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَفِى السَّمَاءِ رِزقُكم وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأرضِ إنّهُ لَحَقُّ مِثلَ مَا أنّكُم تَنطِقُونَ ﴾ (الذاريات : ٢٢ - ٢٣) صدق الله العظيم .

وهكذا فإن يقين الإنسان المؤمن وتسليمه بأن الأرزاق بيد الله ، وأنها مقدرة عنده سبحانه وتعالى ، تجعله على درجة من الإحساس بالأمن والاطمئنان - إذا أخذ بالأسباب التى دعاه الله إلى الأخذ بها فى حياته ، وإستثمر ما وهبه الله من قدرات عقلية ، وطاقات إنفعالية ، وإرادة وحرية ، وما سخر له من مخلوقاته فى الكون لتحقيق الأهداف التى حمله الله إياها ، وأوقع عليه مسئولية تحقيقها فى الحياة الدنيا مما يعينه على تحقيق مستوى أفضل من السواء النفسى .

والإيمان الحقيقى بالله الواحد الأحد ، يتمثل فى إيمان المؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره . حيث يشكل هذا الإيمان منطلقا آخر للتصديق . وهذا يعنى أنه لابد للإنسان المؤمن أن يؤمن - إيمانا لاشك فيه - بأن ما يصيب الانسان فى حياته من خير أو شر هو

بإرادة الله سبحانه وتعالى ، وصدق قوله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (التوبة : ٥١) ، ولذا وجب على المؤمن حق الإيمان أن يكون من بين دلائل إيمانه الرضا بما أصابه الله به فى حياته من فقر أو مرض أو أحداث تدعوه إلى الاحساس بالقلق ومن يرضى بذلك فإن الله سبحانه وتعالى ينزل عليه السكينة فتتحقق له بذلك الهداية وإطمئنان القلب ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن : ١١) وقد أكد سبحانه وتعالى ذلك فى قوله : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (الحديد:٢٢-٢٣).ولهذا إذا إستسلم المؤمن[١] لما قدر الله وقضى به من النوازل ، فإنه يكون من تمام الرضا بالله ربا ، ومن رضى بالله الواحد الأحد رباً فإنه سبحانه وتعالى كاف عبده بتهيئة نفسه لتقبل ما سيقع فى حياته من الشدائد أو المصائب ، فلا يخرج بذلك عن كونه عبداً لله راضياً بقضائه خيراً أو شراً .

---

(١) يذكر ابن تميمه فى كتاب العبودية فى الاسلام ، ط(٣) ، ص(١٠) (١٣٩٨هـ) أن المؤمنين الأوائل اذا اصاب أحدهم مصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

والمؤمن الحقيـقى هو الذى يرضى بالقضـاء خيره وشره ، ولهذا فهو يسلم وجهه للـه تعالى ، ويعتمد عليه عند توكله فى بداية الأمر ونهايته ، وبذلك يدفع ما قدر له من الشدائد والمصائب التى قد تحل به فى حياته عن طريق ما يهيىء به الله عبده من الإستعداد النفسى لتقبل ما قد يقع له من هذه المصائب عن إيمان ويقين بأن الله سيأتى بالفرج ، كما يزيل الإنسان الإحساس (١) بالجوع الحاضر بتناول الطعام ، والذى به يدفع الإحساس بالجوع فى المستقبل .

وبناء على ذلك فإنه إذا أصيب الانسان المؤمن بضر فإن الإيمان بهذه المسلمة يدفع عنه القلق والإضطراب ، إيمانا منه بأن الله سبحانه وتعالى قد خط له الطريق ، وحدد له المعالم التى تجعله على درجة من الأمن والاطمئنان ، فيستطيع أن يمارس دوره فى الحياة بدرجة من الهدوء النفسى الذى يبتغيه . ويمكن أن يتم هذا كله إذا ما سلك الانسان المؤمن وفق أوامر الله ونواهية استجابة منه لدعوة خالقه القائل : ﴿ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (يونس : ١٠٩) ، حيث إن هذه الإستجابة تجعله يرضى بقضاء الله ويصبر على إبتلائه وهو على درجة من اليقين بأن كل ما يصيبه ويقع فى حياته من خير أو شر هو أمر مقدر وأنه سبحانه وتعالى قد أمن الناس من أن يقع عليهم ظلم ، الأمر الذى يجعل نفس المؤمن لا تستجيب لنزعات الشيـطان حال

---

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢ .

وقوع هذه المصائب ، فلا يصاب بقلق ، ولا يشعر باضطراب إنما يصبح على درجة من الهدوء النفسى ذلك لأنه مؤمن تمام الإيمان بأن ما أصابه أمر مقدر فى حياته . وصدق قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر : ٤٩) وهذا من شأنه أن يشير إلى أن إيمان المؤمن إيمانا حقيقيا لا شك يقويه على تحمل نوازل الحياة وكوارثها ، وما فيها من خير بقلب راض كل الرضا .

هذا ، ويعد إيمان الإنسان المطلق بأن الآجال محددة ، وأن الموت حقيقة واقعة ، لازمة ضرورية لكى يصبح الإنسان على إيمانه بالله الواحد الذى لا شريك له . حيث يؤمن إيمانا لا شك فيه بأن ﴿ .. كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ..﴾ (القصص : ٨٨) ، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (الرحمن : ٢٦) ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ..﴾ (الأنبياء :٣٥) ، وأنه سبحانه وتعالى﴿ .. يُحيِي وَيُمِيتُ ..﴾ (البقرة : ٢٥٨) و (التوبة :١١٦) ، وإن عمر الانسان محدد ، ومقدر عند الله ، وأنه اذا جاء أجل الإنسان لا يستطيع أن يؤجله﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ..﴾ (المنافقون :١١) وأنه ﴿ .. فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لاَ يَستَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَستَقدِمُونَ ﴾ (الاعراف : ٣٤) ، وأن الموت والحياة خلق الله سبحانه وتعالى ليختبر عباده ﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوتَ وَالحَيَـٰوةَ لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلاً ..﴾ (الملك : ٢) فإنه بمثل هذا الإيمان يصبح على يقين من أن الله تعالى بيده الحياة والموت ، فهو تعالت قدرته يمد الإنسان بقوة تجعله لا يخشى فى هذه الدنيا سوى الله خالقه ورازقه ، فيسعى للحق ،

وبالحق ومع الحق ، ويقف ضد الظلم دون خوف من أحد سوى الله . الأمر الذى يمكنه من ممارسة دوره فى الحياة بصورة صحيحة سليمة ، تظهر آثارها فى حياته فيشعر بالأمن والآمان .

والأمر يكون على خلاف هذا إذا خشى الإنسان العباد ، ولم يخش الله ، فإن ذلك يجعلهم يتصورون أن لهم مكانة غير مكانتهم الآدمية ، وأنهم يتصفون بصفات ليست فى واقع الأمر لهم ، مما يقودهم إلى الاقتناع بأن لهم من القدرات والإمكانيات ما ليست لديهم ، ومع تكرار مثل هذا السلوك ، وتلك التصرفات مع هؤلاء الناس يظنون - وظنهم خاطىء - أنهم قادرون وأنهم يملكون الدنيا بكل من فيها وما عليها ، فيسلكون فى تصرفاتهم مع غيرهم من البشر وكأنهم أسياد ، ويحاسبونهم محاسبة السيد للعبد . ومن هنا يطغى الإنسان ويتكبر بسبب بعض الذين لا يدركون أن أمور الحياة والموت مقدرة بيد الله سبحانه وتعالى ، وأن الأرزاق والآجال محددة عنده سلفاً ، وأن الموت حقيقة واقعة ، وأن الأنسان راجع إلى خالقه لا محال .

ومن الايمان بالله الواحد الأحد الاستعانة بالله وحده ، ذلك لأن الإنسان المؤمن الحقيقى يكون على درجة عالية من اليقين بأن الله هو المستعان فى كل شىء مصداقاً لقوله ﴿ إيَّاكَ نَعبدُ وَإيَّاكَ نَستَعِينُ ﴾ (الفاتحة : ٥) ، فالمؤمن الحقيقى لا يعتمد على غير الله فى مده بأسباب قوة الإيمان ، ومعاونته على طاعته ، والإستعانه به فى

كل أمر من أمور الحياة ، فلا يسأل أحداً إلا الله تنفيذاً لقوله تعالى : ﴿ **وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾ (النساء :٣٢) ، وبذلك يكون الإعتماد على الله وليس على أمثاله من الناس .

وكذلك الأمر إذا نزلت بالإنسان نازلة ، أو حلت به كارثة ، أو أصابته مصيبة ، أو لحقته الدنيا بهمومها ، فالمؤمن الحق لا يبث شكواه إلا لخالقه كما قال يعقوب عليه السلام : ﴿ .. **إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** ﴾ (يوسف : ٨٦) ، كما دعا[1] موسى عليه السلام " اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك " وكما دعا[2] رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام " **اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس .. أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ، أو إلى عدو ملكته أمرى ؟ .... ان لم يك بك غضب على فلا أبالى غير أن عافيتك أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا ، والآخرة أن ينزل بى سخطك أو يحل على غضبك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك** ".

---

(١) ابن تيمية ، ص ٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

وهكذا يتضح أنه على الانسان المؤمن الحق ألا يستعين إلا بالله وحده مصداقا لقوله تعالى : ﴿ ... **وَمَالَكُم مِّن دون الله من وَلِيٍ وَلاَ نَصِيرٍ** ﴾ (الشورى :٣١) فهو وحده تعالت قدرته المستعان فى كل شىء ، وهو وحده مفرج الكروب ، ومزيل الهموم ، ومنزل السكينة على النفس فتطمئن وتهدأ ، ولنا من حديث[1] رسول الله "ﷺ" العظة فى هذا الأمر إذا ما إلتزمنا به قولاً وفعلاً فقد أوصى "ﷺ" عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ".. **إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وان إجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** " .

الأثر النفسى المترتب على الإيمان بوحدانية الله : -

إذا إستطاع الإنسان أن يحقق هذا المستوى الإجرائى من الإيمان - وهو قادر على ذلك دون أدنى شك - فإنه سيجنى ثماره ، ويشعر بالأثر النفسى الطيب الذى يجعله على درجة عالية من السواء النفسى . حيث يصبح للإنسان فى حياته هدف وغاية ورسالة ، يعمل ويسعى من أجل تحقيقها ، فلا يضعف تجاه مثيرات الحيـــاة وتياراتها

---

(١) الحديث التاسع عشر من الأربعين النووية ، ص ص ٥٣ / ٥٤.

المتعارضة التى قد تحول دون تحقيق ما يتطلع اليه ، ويظل يعمل جاهداً على أساس أن الله سبحانه وتعالى رقيب على ما يفعل ، وأنه تعالت قدرته أعلم بما فى نفسه ، فيمده بالعون والمساعدة ، لتحقيق مآربه فى الحياة ، كما أن الإنسان المسلم الذى يطبق إيمانه ويحوله إلى سلوك فعلى فى واقع الحياة وتعاملاتها يكون على درجة عالية من يقظة الضمير لكل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو عمل . بحيث تأتى جميع أنواع السلوك الصادرة منه موافقة لأوامر الله ، بعيدة عما نهى عنه ، ذلك لأن وجود الله فى نفس هذا الإنسان المؤمن أصبح وجوداً واقعياً. الأمر الذى يجعل الإيمان راسخا فى القلب ، ثابتا فى بؤرة شعوره ، دافعا لسلوكه فى كل الأمور والأحوال .

وبذلك تنعكس آثار مثل هذا الإيمان على تصرفات الإنسان ، فى جميع أحواله فلا نجد نمط سلوكه منافيا لأسس الإيمان التى وقرت فى قلبه ، مهما تغيرت الظروف والأحوال من حوله ويصبح سلوك الإنسان ظاهره ، وباطنه موافقاً لشرع الله ومنهجه ، إيماناً منه بأن الله سبحانه وتعالى مع من إهتدى ، يعينه على هداه وصدق قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى** ﴾ (الكهف :١٣) وذلك لأن من يؤمن بالله الواحد الأحد حق الإيمان ، ويتخذ كافة الأساليب الإجرائية التى تعمق وتقوى إيمانه ، فإن الله يزيده إيماناً على ايمانه ، ويجعله يسعد فى الحياة الدنيا والآخرة ، وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ ... **فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ (التوبة

: ١٢٤) وبذلك تطمئن قلوب المؤمنين ، وتنزل فيها السكينة مصداقاً لقوله : ﴿ هُوَ الذِىَ أنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلوبِ المؤمنينَ ليزدادُوا إيمٰناً مَعَ إيمٰنِهِم.. ﴾ (الفتح : ٤) . وهكذا يحقق الإيمان الفعلى بالله الواحد الأحد مزيداً من حسن التصرف والسلوك فى مواقف الحياة المختلفة المتعددة فيتحقق بذلك الاحساس بالامن والإطمئنان .

هذا ، وإذا آمن الانسان إيماناً راسخاً بأن الله عليم بكل ما فى السموات والأرض ، إعتقاداً فى قوله تعالى : ﴿..أنّ اللهَ يَعلَمُ مَا فِي السَّمَٰوٰاتِ وَمَا فِي الأرضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجوىٰ ثَلٰثةٍ إلاَّ هُوَ رَابِعُهُم ولاَ خَمسَةٍ إلاَّ هُوَ سَادِسُهُم ولاَ أدنَىٰ مِن ذَٰلِكَ ولاَ أكثَرَ إلاَّ هُوَ مَعَهُم أينَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهم بِمَا عَمِلُوا يَومَ القِيَٰمَةِ إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة : ٧) ، فإن ذلك يجلب له رضا الله ، حيث إن مثل هذا الانسان المؤمن الذى يخشى الله ، عندما يسلك أى سلوك يكون على يقين تام من أن الله يراه ، وأن الله به عليم ، فلا يأتى بسلوك لا يرضى عنه سبحانه وتعالى ، فيصل بذلك الى رضا الله ورحمته وثوابه ، ولا ينال هذا الرضا إلا كل من يراقب ربه ، ويحاسب نفسه ، ويجعل طاعته وخضوعه وشكره لله وحده سبحانه وتعالى ، إيمانا منه بأن الله صاحب السلطان ومصدر العزة والأيمان ، ورب الفضل والنعم التى يعيش فيها الإنسان ، وأنه لا منة لمخلوق من مخلوقاته عليه فى ذلك ، ومن هنا لا يخضع الإنسان المؤمن ، ولا يقبل أن يخضع ولا يستكين ، ولا

يذل إلا لخالقه ، فيشعر عندئذ بذاته ، ويدرك وجوده ، لأنه أعز نفسه التى آمره الله أن يعزها من الزلل والخطيئة ، وأن يحافظ عليها ويصون كرامتها . فضلاً عن الإيمان الفعلى فى هذا الجانب يجعل الإنسان يتخذ خطوات إجرائية يمارسها فى حياته الخاصة والعامة ، تجعله على درجة عالية من الشعور بالدفء والألفة والإتصال الوثيق بخالقه لإيمانه المطلق الراسخ بأنه سبحانه وتعالى معه أينما كان ، وهذا من شأنه أن يجعل الإنسان على درجة من الإستقرار والهدوء النفسى الذى يسعى إليه من خلال ممارسته لادواره المختلفة فى الحياة .

كما أن الإيمان بالله الواحد الأحد - كما نشير إليه إجرائيا - يدعو الانسان إلى الأمل والبعد عن اليأس مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَايْئَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَايْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ (يوسف : ٨٧) ، والتطلع إلى التفاؤل الذى من شأنه أن يجعل الإنسان على درجة من الأطمئنان والهدوء النفسى . وفى التاريخ الاسلامى كثير من قصص المؤمنين الذين آمنوا بالله حق الإيمان : فسلمت نفوسهم من أسباب القلق والإضطراب ، بل كانت على درجة عالية من القوة ، فلم تتمكن منهم لحظات الضيق أو العوز أو الحاجة أو الضيق ، ولم تسمح نفوسهم لوساوس الشيطان بالتدخل لتشيع فيها اليأس ، ذلك لأن نفوسهم كانت آمنة مطمئنة لإيمانهم العميق بأن الله معهم ومعينهم ومخرجهم من كل ضيق أو قلق .

هذا ، ويعد الإيمان بالله الواحد الأحد مصدراً أساسياً للثقة بالنفس ، فبمثل هذا الإيمان تسمو نفس المؤمن بالإلتزام بمنهج الله الذى ينير الطريق ، ويهدى إلى الخير ، والصواب والحق والعدل ، وكلها أمور تجعل الإنسان على درجة عالية من الراحة والهدوء النفسى ، فلا مكان للحزن والهم ، والقلق عند المؤمن الواثق بأن الله معه أينما كان ، يعينه ، ويقويه ويمده بمزيد من الثقة بالنفس - ليقوم بدوره المنوط به ، والذى من أجله خلقه ، ومكنه تعالت قدرته من السيطرة على هذا الكوكب ، وأعانه بمختلف الوسائل التى تجعله أكثر قدرة على إستمرارية دوره مهما أحاطت به أحداث الحياة بأهم أسس القيام بهذا الدوروهى السكينة ، والهدوء النفسى .

كما أن الإنسان المؤمن الحق ، يصبح حراً طليقاً يمارس حريته ، فيفعل ما يريد ما دام ذلك فى حدود أوامر الله ، وبعيدا عن نواهية ، حيث الإيمان بالله الواحد الأحد جعله عبداً لله سبحانه وتعالى، وبذلك تحرر من عبوديه للبشر ، وأصبح مالكاً لحريته، ومسيطرا على إرادته ، وهداه الطريقين ، طريق الخير وطريق الشر . أى أنه تعالت قدرته أمد الانسان بأسس تعينه على ممارسة حياته بشكل سوى سليم ، بعيداً عما يعوقه عن ممارسة حريته أو يشعره بالذلة والخضوع لغيره من البشر ، وبهذا يصبح الإنسان سيد الارض بعبوديته لخالقه .

وإذا ماحول الانسان المؤمن إيمانه الى سلوك فعلى ، فتجنب المحرمات التى نها عنها

الله ، وسلك وفق أوامره فأنه يشعر بالأمن والاطمئنان . لأن السلوك السوى الذى يتفق ودعوة الايمان ومنهج الله يزيل عن نفس الانسان مختلف مشاعر الضيق والقلق ، لإعتماده وتوكله وتسليم أمره لله الذى به يحدث الاطمئنان ، وقد طمأن رسول الله " ﷺ " أبا بكر عندما ذكره بأن الله معهما ﴿ .. **لاتحزن إن الله معنا** ..﴾ (التوبة : ٤٠) وذكر هذا النص لا يَعْد أن يكون تذكرة لصاحبه - لأن قلبهما عامر بالإيمان - وما قول رسول الله "ﷺ" .. [(١)] "ماظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما يشير الى حالة الاطمئنان النفسى التى عليها رسول الله "ﷺ" .

والإيمان الحقيقى ينير الطريق للمؤمن لإتخاذ وسائل تفريغ الهم والحزن ، ويعلمنا رسول الله "ﷺ" ماذا نفعل عندما نصاب بما يشعرنا بالهم والحزن : أن ندعو الله بأن يشرح صدورنا ﴿ **رَبِّ اشرح لي صَدري * وَيَسِّر لِي أمري** ﴾ (طه : ٢٥-٢٦) ، وأن نتعوذ من الهم والحزن عندما قال " أعوذ بك من الهم والحزن " وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **الذينَ ءَامَنُوا وَتَطمَئِنُ قُلُوبُهُم بِذِكرِ اللهِ ألا بِذِكرِ اللهِ تَطمَئِن القُلُوبُ** ﴾ (الرعد : ٢٨) أما إذا لم يحول الإنسان المؤمن إيمانه إلى واقع يمارسه فى حياته فى كل ما يصدر عنه من سلوك فإن إيمانه ضعيف ، وبالتالى كثيراً ما نجد مثل هذا الإنسان لا يشعر بالرضا ، ودائما ما يكون اليأس قرينه إذا عجز عن تحقيق آماله

---

(١) صحيح البخارى جـ (٦) ، ص (٤) .

وأهدافه فى الحياة ، الأمر الذى يجعله أكثر قلقاً واضطراباً حتى يسيطر عليه الإحساس بالنقص والعجز ، ولهذا يحذر الله عباده المؤمنين من اليأس لأنه مضيعة لحياة الانسان ، وفقدان لجدواها ، عندما قال وقوله الحق : ﴿ ..ولا تايئسوا من روح الله انه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ (يوسف : ٨٧) ، إن المؤمن الحق لا يدع لليأس مكاناً فى حياته ، بل يضع نصب عينيه أملاً فى الله متجدداً ، مما يجعله أكثر إقبالاً على الحياة وأكثر قوة على مواجهة محنها ونوائبها ، مستعيناً فى ذلك بالصبر والصلاة بعيدا عن اليأس والقنوط. مؤمنا بأن بعد العسر يسرا ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ فإن مع العسر يسراً ﴾ (الشرح : ٥) وبذلك لا يدخل فى نفس المؤمن هم ولا حزن ، ولا يسمح للشيطان بأن يوسوس له ، فتستقر أمور حياته وينعم بها .

ويشكل الإيمان الحقيقى أساساً قوياً للإحساس بالأمن الاقتصادى والإطمئنان النفسى ، حيث يصبح المؤمن على يقين بأن الله سبحانه وتعالى هو الرازق والباسط فى الرزق ، والمقدر له ، بشرط أن يسعى فى الحياة آخذاً بالأسباب التى لا تتنافى مع أوامر الله ، وأن يكون راضيا بما قسم الله له من وراء هذا السعى ، وعندئذ يشعر الإنسان بالهدوء والإستقرار . وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا الأمر فى كثير من آياته ، والأمر

يكون على خلاف هذه النتيجة إذا لم يدرك الانسان أن الأرزاق بيد الله وتصور أنها تتوقف على قدراته ، وإستخدامه لمختلف الوسائل والطرق بصرف النظر عن مراعاة حدود الله ، وأوامره ، ونواهيه . أى أنه إذا ضل الإنسان طريق الإيمان ، وسار على غير منهج الله ، فإن الشعور بالخوف ، وفقدان الاحساس بالأمن والأمان واقع دون شك .

ان المتتبع للتاريخ الاسلامى يجد عديدا من النماذج البشرية التى وقر الإيمان فى قلوبهم ، ولزمهم فى كل تصرفاتهم وأحوالهم ، فتراهم على ثقة عالية بأنفسهم لثقتهم بالله ، ومطمئنين على حياتهم وراضين بها ، شاكرين الله على ما آتاهم من خير ، بعيدين عن مشاعر الضيق والقلق والاضطراب ، وان حزن الانسان فلا يحزن حزنا يملأ النفس باليأس ، ولا يجزع جزعاً لما يحدث له من مصائب أو مشكلات ، ولا يفرح فرحاً يصل به إلى العجب والغرور ،أى لديه القدرة العالية على السيطرة على نفسه وضبطها ، لأنها نفس مؤمنة حق الإيمان بالله الواحد الأحد ، مؤمنة بأن ما يحدث فى الحياة الدنيا ما هى إلا أحداث عارضة فى حياته ، وكلها بيد الله . وما دام الأمر كذلك فلا خوف ولا فزع ولا قلق ، ولا اضطراب فى حياته ولهذا يكون المؤمن على أعلى درجة من السواء النفسى .

والمؤمن حق الإيمان يكون على يقين من أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ على نفسه

العهد بحماية الإنسان من كل سوء فى الحياة الدنيا إذا إلتزم بمنهجه ، وسلك وفق أوامره ، وأنتهى عما نهى عنه ، فهو سبحانه وتعالى : ﴿ .. لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ..﴾ (البقرة : ٢٥٥) ، وهذا من شأنه أن يجعل الإنسان المؤمن أكثر إطمئناناً لأن الله سبحانه وتعالى معه وحارسه ومعينه وأنه مكافئه ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾ (الزلزلة : ٧) ، فضمن بذلك له نتائج حركته الصالحة فى الحياة ، وثمرة عمله المفيد ، وسعيه وإجتهاده لتنفيذ أوامر الله ، وقد أمد الله الإنسان بمختلف مصادر الأمن والأمان فحرره من عبوديته لبنى جنسه ، وكفل له الرزق وقدر له المقادير ، وحدد له الآجال ، وبذلك ينتفى من حياة الانسان المؤمن حق الإيمان الخوف المرضى الذى يحول بينه وبين ممارسة دوره فى الحياة كما يجب أن يكون ، ويقضى على ماقد ينتاب الإنسان من الحيرة والتشتت ، فيحيا حياة هادئة . حيث لم يعد لأحداث الحياة ونوازلها هذا القدر من الهلع والفزع الذى ينتاب الإنسان غير المؤمن حال وقوعها ، ولذلك تكون حياة الانسان المؤمن أكثر سكينة واطمئناناً .

وإذا أراد الإنسان المؤمن حق الإيمان أن يحيا حياة نفسية سليمة فعلية أن يجتهد لتطبيق شرع الله ، والإلتزام بمنهجه فى كل ما يصدر عنه من سلوك ، فيعم بذلك الإحسان بين الناس والعدل ، والحق ، وينطلق المؤمن من أجل دفع الظلم عن المظلومين ، وإزالة الضرر عن المتضررين ، لأن مثل هذا السلوك الخاص لوجه الله تعالى جدير بأن

يرد صواب المخطئين ، ويدعوهم إلى طريق ومنهج رب العالمين ، وبذلك تصبح البيئة التى نحيا فيها بيئة صالحة مشبعة بمناخ نفسى صالح لحياة الكبار ومهيأة لتنشئة الصغار، على أساس الإيمان بالله الواحد الأحد ، وما يتبعه من تطبيقه تطبيقاً إجرائياً فى كل الظروف والأحوال ، والأقوال ، والأفعال .

وهكذا فإن الإيمان بالله الواحد الأحد ، وترجمته إلى سلوك فعلى يصل بالإنسان إلى درجة من اليقين - الذى لا شك فيه - بأن الله مالك الملك ، وملك الملوك ، وولى الأولياء ، وسبحانه هو الطاعم الكاسى ، والمحى والمميت ، والمعز والمذل . بذلك لم يعد هناك بالنسبة للانسان المؤمن أى سبب يخفيه أو يقلقه أو يحدث لديه إضطراباً، لإيمانه المطلق بأن كل شىء فى دنياه وفى آخرته بيد الله الواحد الأحد . وهذا يعنى أن ما يتوصل إليه علماء النفس من نتائج دراساتهم، وبالأخص علماء الصحة النفسية من أسباب تحقيق السواء النفسى للإنسان ، وفق أدق المناهج العلمية والتجريبية التى تستخدم لدراسة الظواهر النفسية لا يمكن أن تعين الإنسان - بصفة دائمة ومستمرة - على تحقيق الصحة النفسية له إلا عن طريق وصوله للإيمان الحقيقى الفعلى .

ثانيا : تقــوى اللــــه

ومن بين الأسس التى تعين الإنسان على تحقيق مستوى أفضل من الصحة النفسية السليمة التقوى التى تعتبر عامل الوقاية الأساسى من القلق والإضطراب النفسى ، وسبيل وصول الانسان إلى الهدوء والإستقرار والطمأنينة النفسية ، ذلك لأنها تحدد له إتجاهين أساسين فى حياته ، أحدهما إتجاه يهتم بالبعد عما نهى الله سبحانه وتعالى والإبتعاد عن الرذائل ، فيقى الإنسان نفسه من إرتكاب المعاصى ، والسيئات ، ويحفظها من الاقتراب من المحظورات ، و مجاهدتها حتى لا تستجيب لنزعات الشيطان لتلبية حاجاته ورغباته وميوله بغير ما أوجب الله من أسباب حددها سبحانه وتعالى لإشباعها. والإتجاه الثانى ،تقوية النفس بالإقبال على ممارسة أوامر الله وتنفيذها على خير وجه .

ولبيان مفهوم التقوى وتحديد دلالتها لابد من التعرف عليها فى المعاجم العربية ، فنجد أن صاحب القاموس المحيط[١] يذكر : اتقيت الشىء حَذرتُه ، والاسم التقوى ، أهل التقوى ، أى أهل أن يُتَقَى عقابه ، ويذكر صاحب لسان[٢] العرب : تقى الله تَقْيا خافه ، ويقال رجل تقى ، أنه موق نفسه من العذاب والمعاصى بالعمل الصالح .

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب النيرد زابادى .ط . الأولى ، ج . الرابع ، ص . (٤٠١).
(٢) ابن منظور . المجلد الأول ، ص ٣٢٤ ، والمجلد الثالث ، ص ص ١٩٧٢/٩٧١ .

وبذلك يشير لفظ التقوى ودلالته إلى الخوف من الله سبحانه وتعالى ، للوقاية من عقابه فيسعى الانسان إلى تجنب المعاصى ، وارتكاب السيئات عما نهى ، والإقبال على ممارسة الأعمال الصالحة سواء كانت أقوالاً أو أفعالاً ، وسواء كانت فى الظروف والأحوال الطبيعية أو غير العادية .

ويذكر زين الدين أحمد [١] بن الحنبلى عددا من المفاهيم التى حددها بعض المتدينين لمفهوم التقوى منها ، أن "ابن عباس" يرى " أن المتقين يحذرون من الله عقوبته ، فى ترك ما لا يعرفون ، ويرجون رحمته فى التصديق بما جاء به " ، وقول "الحسن" المتقون إتقوا ما حرم الله عليهم ، وأدوا ما إفترض الله عليهم " ، وقول " عمر بن عبدالعزيز" (ليس تقوى الله بصيام النهار ، ولا قيام الليل ، والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرّم الله ، وأداء ما أفترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير) وقد قال "ابن مسعود" فى قوله تعالى "اتق الله حق تقاته" أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

وهكذا ، نجد أن تحديد المتدينين لمفهوم التقوى لا تخرج عن خوف العبد من خالقه ، فيجعل بينه سبحانه وتعالى وبين ما يخافه ويحذره وقاية نفسه من العقاب ، وذلك

---

(١) لمعرفة مزيد من المفاهيم التى تناولها المتدينين انظر زين الدين أحمد بن الحنبلى جامع العلوم والحكم ، ص ص ١٣٧/١٣٩.

بفعل الطاعات وإجتناب المعاصى ، واداء الواجبات ، والبعد عن المحرمات وترك الشبهات. ومن أجل ذلك تصبح تقوى الله مصدراً من الاطمئنان للانسان .

ولهذا تعد التقوى أساس الأسس الإيمانية التى يتحقق عن طريقها الأمن والأمان للانسان .حيث تهتم أساسا بجانب العبادات ، سواء كانت مع الله ، أو من خلال تعامل الانسان مع غيره من عباد الرحمن ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُم وَ الَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ** ﴾ (البقرة : ٢١) ولهذا فقد دعا الله عباده للتقوى، وحث على الالتزام بها فى كل ما يصدر عنهم من أفعال وأقوال ، وفى مختلف أحوالهم وظروفهم . فقال تعالى :﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُسلِمُونَ** ﴾ (آل عمران : ١٠٢) ، ﴿ **وَ اتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيباً** ﴾ (النساء : ١) ، ﴿ **وَاتَّقُواْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ** ﴾ (المائدة : ٨) ، وهكذا يدعو الله عباده فى كثير من آياته الى تقواه ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾ (الحجرات : ١٢) ، ومُرهبا تراة أخرى كما فى قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ** ﴾ (الحشر :٧) ، منبها عباده الى أنه سميع عليم بكل ما يدور فى أنفسهم ﴿ **... وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (الحجرات : ١) .

وفى دعوته سبحانه وتعالى لعباده الى التقوى بين لهم أن من معالم التقوي ، الايمان بالله ، واليوم الآخر ، وملائكته ، والكتاب ، والنبيين ، والتصدق بالمال على ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وفى تحرير الرقاب ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والوفاء بالعهد ، والصبر عند الشدائد ، وعند القوة . عندما قال تعالى :

﴿ ليسَ البِرّ أن تُولوا وجوهكم قِبَل المَشرِقِ والمَغرِبِ ولَكِنّ البِرّ مَن آمن باللهِ واليَومِ الأخرِ والملـٰئكةِ والكِتٰبِ والنَبِيّنَ وءَاتى المالَ عَلىٰ حُبِّهِ ذَوِى القُربىٰ واليَتٰمىٰ والمسٰكينَ وابنَ السَبِيلِ والسّائلينَ وَفى الرِّقابِ وأقامَ الصَلٰوةَ وءَاتى الزكوٰةَ والموفُونَ بِعَهدِهِم إذا عٰهَدُوا والصٰبِرينَ فى البَأساءِ والضَرّاءِ وَحِينَ البَأسِ أولٰئِكَ الذينَ صَدَقُوا وأولٰئِكَ هُمُ المُتَقُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٧) .

كما أعتبر الله سبحـــانه وتعالى العدل من تقوى الله مصداقا لقوله تعالى :

﴿ يَاأيّها الذينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ للهِ شُهَدآءَ بِالقِسطِ ولاَ يجرِمَنّكُم شَنَئانُ قَومٍ عَلىٰ ألاّ تعدلوا اعدِلوا هُوَ أقربُ للتَقوىٰ ﴾ (المائدة : ٨) ، وأن الصدق من التقوى مصداقا لقوله تعالى : ﴿ والذى جَاءَ بالصِّدقِ وصدق بِهِ أولٰئكَ هُمُ المُتَقُونَ ﴾ (الزمر : ٣٣)، وأن السمع والطاعة دليل على التقوى مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ فاتَقُوا اللهَ مَا استَطعتُم واسمَعُوا وأطيعُوا ﴾

(التغابن : ١٦) ، وأن إصلاح ذات البين من التقوى مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ (البقرة : ٢١٢) .

كما أن الله سبحانه وتعالى جعل للمتقين مكانة مرموقة لديه فجعلهم فوق الجميع من عباده عندما قال : ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَوٰةُ الدُّنيا وَيَسخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوقَهُم يَومَ القِيَـٰمَةِ** ﴾ (البقره : ٢١٢) وهم موضع حبه سبحانه وتعالى مصداقا لقوله : ﴿ **بَلَىٰ مَن أَوفَىٰ بِعَهدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ** ﴾ (آل عمران : ٧٦) ، وهم أولياءه المخلصين ﴿ **..إن أولِيَآؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكثَرَهُم لاَ يَعلَمُونَ** ﴾ (الانفال : ٣٤) .

وتعتبر التقوى المنطلق الأول والأساس الذى يدفع الانسان الى ترجمة ايمانه بالله الواحد الأحد إلى أنماط سلوكية، وأعمال فعليه حقيقية تلك التى بها ينال الثمار الطيبة فى حياته الدنيا والأخره ، ولهذا نجد أن الله قد وعد المتقين بأعظم الجزاء ، وأفضل الثواب فى الأخره فاعد لهم الخير كل الخير مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **.. لِلَّذِينَ اتَّقَوا عِندَ رَبِّهِم جَنَّـٰتٌ تَجرِى مِن تَحتِهَا الأَنهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ** ﴾ (آل عمران : ١٥) فهم ينعمون بجنة عرضها السموات والأرض ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرضُهَا السَّمَٰوَاتُ وَالأَرضُ أُعِدَّت لِلمُتَّقِينَ** ﴾ (آل عمران : ١٣٣). وأكد تعالت قدرته

على ﴿ إنّ المُتقين فى جنّـٰت وعُيـون ﴾ (الحجـر : ٤٥) وأن ﴿ لهُم فيـهَا مَايشَاءُونَ خـٰـالِدينَ كَانَ عَلىٰ ربّكَ وَعداً مَسئُولاً ﴾ (الفرقان : ١٦) وأنهم سيساقون إليها زمراً ﴿ وَسيقَ الذينَ اتّقَوا ربّهُم إلىَ الجنّة زُمَراً حَتّىٰ إذَا جَاءُوهَا وفُتحت أبَوابُهَا وقَالَ لهم خزنَتُها سَلَمٌ عَليكُم طبتُم فَادخُلوهَا خَلدينَ ﴾ الزمر : ٧٣) ولذلك فان تطلعهم إلى الدار الآخرة هى أسمى مايتطلعون إليه حيث إنهم على درجه عاليه من اليقين بأن : ﴿ .. الآخرة خَيرٌ للذينَ اتّقَوا ..﴾ (يوسف ١٠٩) ، وأنهم سيكونون فى مقام أمين ﴿ إنّ المُتقينَ فـى مَقَام أمين ﴾ (الدخان : ٥١) وأنهم سيدخلون الجنة بسلام ، وأن لهم فيها كل ما يريدون، مصداقا لقوله :﴿ وأزلفَت الجَنّةُ للمُتقينَ ﴾ (ق : ٣١) ، ﴿ ادخُلوهَا بسَلَـٰم ذَلكَ يَومُ الخُلُود * لهُم مَا يَشَاءُونَ فيهَا ولَدَينَا مَزيدٌ ﴾ (ق : ٣٤ - ٣٥) ينعمون فيها بخيرات الله ، ﴿ إنّ المُتقينَ فى جَنّٰت وَنَعيم فَٰكهينَ بِمَا ءَاتَهُم وَوَقَهُم ربّهُم عَذَابَ الجَحيم * كُلوا وَاشربُوا هَنيئاً بمَا كُنتُم تعملُونَ * مُتكئينَ عَلىٰ سُرُر مَصفُوفَة وزَوّجنَـٰهُم بحور عين ﴾ (الطور : ١٧ - ٢٠) هذا جزاء المتقين الذى أعده رب العالمين لعباده الذين يخشونه فى السر والعلن ، وفى السراء والضراء - فى الدار الاخره .

كما وعـد الله تعالت قدرته الذين إتقوا الأمن والأمان فى الحياة الدنيا وفى الاخره

﴿ ألا إنّ أولِيَاءَ اللهِ لا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحزَنُونَ * الذينَ ءامَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ * لهُمُ البُشرَىٰ في الحَيٰوةِ الدُّنيَا وَفي الآخِرَةِ لا تَبدِيلَ لِكلِمَـٰتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ ﴾ (يونس : ٦٢-٦٤) ، ﴿ قُل يَـٰعِبادِ الذينَ ءامَنُوا اتقُوا رَبَّكُم لِلذينَ أحسَنُوا فـي هَذِهِ الدنيـا حَسَنَةٌ وَأرضُ اللهِ وَ'ٰسِعَةٌ إنّما يُوَفّى الصّـٰبِرُونَ أجرَهُم بِغيرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر : ١٠) .

والانسان الذى يتقى الله فى كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال ، وفى كل الظروف والأحوال ، وفى مختلف أنواع تعامله مع غيره من عباد الرحمن فان الله يجعل له منها نورا يكشف له طرق الخير والفلاح فى الحياه الدنيا ، تلك التى ينال خير جزائها مصداقا لقوله تعالى :﴿ يَاأيُّها الذينَ ءامَنُوا اتقُوا اللهَ وَءامِنُوا برسُولِهِ يُؤتِكُم كِفلَين مِن رَحمَتِهِ وَيَجعَل لكُم نُورا تَمشُونَ بِهِ وَيَغفِر لكُم وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحديد : ٢٨) . وهكذا تشير الآيات البينات إلى أثر التقوى فى حياة الإنسان ، وما أعد للمتقى فى آخرته ، فالحياه اليسيرة السهلة لكل من يخشى الله ويرعاه ﴿ ..وَمَن يَتّقِ اللهَ يَجعَل لهُ مِن أمرِهِ يُسراً ﴾ (الطلاق :٤) .

هذا ، ويستمر أثر التقوى النفسى فى حياة الإنسان المؤمن ،فلا يشعر بالضيق أو القلق ذلك لأنه على يقين بما وعده الله من جعل حياته أمرا ميسورا ، وبذلك يتحقق له الأمن والأمان، ولم يقتصر أثر التقوى على الإنسان نفسه ، بل يمتد إلى ذريته . حيث

إن من يتق الله حق تقاته فانه بهذه التقوى يأمن على حياة أبنائه - من بعده - ويكون على درجه من الإطمئنان النفسى بأن أبناءه لن ينالهم سوء بعد وفاته ، ويشكل هذا الأثر أهمية بالغة فيما يمكن أن تكون عليه حياة الإنسان من الاستقرار النفسى والطمأنينه الإنفعالية ، ذلك لأن الإنسان أشد ما يكون قلقا من المستقبل ،ليس له فقط ، إنما بالنسبع لأبنائه من بعده ، ولهذا فقد عرف الله عباده المؤمنين سبيل الإطمئنان النفسى بالنسبة لهم ولأبنائهم .

كما وعد الله المتقين بالإطمئنان فى حياتهم الدنيا إذا صبروا وأتقوا ربهم ﴿ .. إن تَصبِروا وَتَتقُوا وَيَأتُوكُم مِّن فَورِهِم هَذَا يُمدِدكُم رَبُكُم بِخَمسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ المَلَـٰئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ الاَّ بُشرَىٰ لَكُم وَلِتَطمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصرُ إلاَّ مِن عِندِ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ﴾ (آل عمران :١٢٥-١٢٦) ، فسبحانه مبشر الصابرين المتقين ، ومطمئن قلوبهم فيما يتعلق بأمور الدنيا التى تشغلهم والتى قد تسبب لهم القلق وعدم الإستقرار والهدوء ،ذلك لأن الله ﴿ .. إنَّ اللَّهَ مَعَ الذينَ اتَّقَوا وَّ الذينَ هُم مُّحسِنُونَ ﴾ (النحل : ١٢٨) فهم فى أمن وإطمئنان من ناحية الرزق ذلك لأنه تعالت قدرته قد كفل الرزق لجميع مخلوقاته فما بالنا بمن يخشاه من عباده فانه سبحانه ﴿ .. يَرزُقهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِبُ .. ﴾ (الطلاق : ٣) .

هذا ، والتزام الانسان المؤمن بتقوى الله فى حياته ، يجعل أعماله كلها صالحة ، فيشعر بالحياة ونعيمها مصداقا لقوله تعالى : ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب : ٧٠ - ٧١) . حيث تذلل الصعوبات التى تواجهه فى مختلف مواقف حياته ، ويتحول عسره يسرا مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ (الطلاق :٤) وهى شرط ضرورى لخروج الانسان من كل ضيق ، وتفتح أبواب الفرج أمامه ، فيخرج من واقعه القلق المضطرب إلى واقع يحقق له الأمن والاطمئنان ، والهدوء والامان مصداقا لقوله تعالى : ﴿ .. وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرجاً ﴾ (الطلاق : ٢) ، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الليل : ٥-٧) .

وتسهم التقوى إسهاما فعليا فى تحديد الانماط السلوكيه البشريه للانسان المؤمن حق الايمان ، فيصبح كل ما يصدر عنه محددا وواضحا مما يجعله أكثر راحه واستقرارا وهدوء ا . حيث إن مثل هذه الانماط السلوكسيه تبعده عن غيرها من الانماط السلوكية التى تشير إلى التملق والنفاق للآخرين . فضلا عن أن أنماط السلوك الصادر عن الإنسان الذى يتقى الله ، تعين غيره من الناس على فهم سلوكه فهما سريعا وصحيحا ،

ذلك أن له كما سبق القول - نمطا محددا لا إلتواء فيه ولا غموض ، ولهذا إعتبرت مصدراً أساسياً من مصادر جلب وتحقيق الراحة والهدوء النفسى بعد وفاته إذا أراد حياة أكثر أمنا واستقرارا لأبنائه من بعده ، عندما قال تعالى :﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء : ٩) .

وهكذا إذا أراد الانسان أن يحيا حياة مستقرة وهادئة يتمتع فيها بالصحة النفسية السليمة ويشعر خلال حياته بالأمن والآمان ، وأن يظل طوال حياته معززاً مكرماً أن يتق الله حق تقاته ، فقد وعد الله عباده المتقين بأن (.. أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات : ١٣) ، (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الزمر : ٦١) وصدق الله العظيم عندما قال : (... لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ) (البقرة : ١٨٩) ، وأن (.. خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ) (البقرة : ١٩٧) ، فمن إتقى الله باتباع هداه ، وبذكره دائماً وأبداً فإنه لا يضل ولا يشقى مصداقاً لقوله تعالى : (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ) (طه : ١٢٣-١٢٤) .

ثالثاً : التوكـل علـى اللـــه

ان المتتبع لمفهوم التوكل ، ووجهة نظر علماء الدين ، وأهل البصيره المجربين ، الذين نالوا ثمار توكلهم على الله فى حياتهم الدنيا ، يجد له أثراً واضحاً فيما يمكن أن يكون عليه الإنسان الفرد ، والمجتمع من درجات السوا النفسى .

وقبل البدء فى بيان ذلك لابد من معرفة تحديد مفهوم التوكل فى لغتنا العربية ، فنجد أن صاحب[١] القاموس المحيط يذكر أن : اتكل : إستسلم إليه ، وكل : توكل على الله ، ويذكر صاحب[٢] لسان العرب أن : وَكِلَ بالله وتوكل عليه واتكل إ تسلم اليه ، ووكلت أمرى إلى فلان أى ألجأتُه إليه ، واعتمدت فيه عليه ، ووكّل فلان لاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته ، والمتوكل على الله : الذ لم أن الله كافلُ رزقه وأمره فيركن إليه وحده ، ولا يتوكل على غيره .

ويحدد علماء اللغة الفرق بين التوكل - الذى يشكل أحد أسس السواء النفسى من وجهة نظر الإسلام - والتواكل على أساس أن التوكل خلاف التواكل . حـ ث إن التواكل يعنى كما ذكر صاحب[٣] القاموس المحيط أن : توكلـوا مواكـلة ، ووكالا ، إتكل

---

(١) الفيروز ابادى ، جـ٤ ، ص ٦٤ .

(٢) ابن منظور ، المجلد الثالث ، ص ١٩٢ .

(٣) الفيروز ابادى ، جـ ٤ ، ص ٦٧ .

بعضهم على بعض ، ويذكر صاحب[١] لسان العرب : رجل وكلٌ كثير الاتكال على غيره، ورجل إذا كان ضعيفاً ، ورجل مواكل أى لا تجده خفيفاً ، ويقال وكال أى بُطء وبلادة ، وهو العاجز الذى يكل أمره لغيره ، ورجل وكلة ، وإذا كان يكل أمره إلى الناس ، تواكل القوم مواكلة ووكالا ، وإتكل بعضهم على بعض . ويقال إستعنت القوم فتواكلوا أى وكلنى بعضهم على بعض .

وحتى نستطيع أن نتحقق من ذلك لابد من التعرف على معنى ، ودلالة ومفهوم التوكل عند علماء المسلمين فنجد أن الامام "أحمد بن حنبل" يرى أن التوكل عمل بالقلب ، أى أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإحساس الداخلى للفرد ذلك الإحساس الذى يستشعره الإنسان بقلبه ، فالتوكل على الله لا يكون بقول اللسان أو التلفظ بالكلام ، إنما هو عمل قلبى خالص لا يدركه إلا من أيقن به ، وسار وفقه ، وكان سلوكه فى الحياة على أساسه .

ويذكر لنا ابن القيم[٢] الجوزية عديداً من المفاهيم التى وردت على لسان المتدينين ، فمنهم من قال إن التوكل "علم القلب بكفاية الرب للعبد" ، ومنهم من يفسره بالرضا

(١) ابن منظور ، المجلد الثالث ، ص ص ٩٧٧ - ١٩٧٨ .

(٢) مدارج الساكين ، جـ٢ ، ص ص ١١٤ - ١١٧ .

فيقول : ان التوكل هو "الرضا بالمقدور" ، ومنهم من إعتبر التوكل "عدم الانزعاج بالأسباب ، مع شدة الفاقة إليها .. "وقال بعضهم أن التوكل يعنى " التعلق بالله فى كل حال " وقد حدد آخرون التوكل بقولهم " التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات ، فلا تسمو إلا من إليه الكفايات " وقيل أن التوكل " قطع علائق القلب بغير الله " ، و " هجر العلائق ، ومواصلة الحقائق. " ورأه بعضهم أنه " رضا وإختيار ، وتسليم وإعتماد " .

وهكذا نرى عديداً من المعانى التى تشير إلى تحديد مفهوم التوكل ، ومن الملاحظ أن غالبية هذه المفاهيم ، وإن إختلفت فى ألفاظها ، والكلمات المركبة منها إلا أنها تتحد فى الإشارة إلى مضمون واحد فقط ، وهو الإعتماد على الله ، والتسليم له ، والإيمان بأن الله كاف عبده فى مختلف الظروف والأحوال ، وتوجب أن يكون الفرد على درجة عالية من اليقين ، والثقة بالله ، والرضا بقضائه والشكر ، بحيث يشكر إذا تحققت أهدافه ، ويصبر إذا لم يصل إلى ذلك .

هذا ، ولا يعنى التوكل على الله كأساس من أسس الصحة النفسية فى الإسلام عدم الأخذ بالأسباب ذلك لأن الأخذ بالأسباب أمر ممدوح فى الإسلام ، وعدم الأخذ به مذموم . حيث أجمع[1] علماء المسلمين على أن التوكل لا ينافى القيام بالأسباب ، فلا

(١) ان قيم الجوزية ، ص ١١٦ .

يصح التوكل إلا بالقيام بها ، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد ، ذلك لأن الدين الإسلامى دين حياة ، والحياة لا تستقيم إلا بالعمل ، والعمل أخذ بالأسباب لتحقيق الأهداف والأغراض فيها . فضلا عن أن التوكل يعد من أقوى الأسباب فى الحصول على المتوكل فيه ، كالدعاء الذى يعد سبباً فى حصول المدعو به فالدعاء ، والتوكل سببان لحصول المطلوب ، فالله يقضى بحصوله إذا فعل العبد سببه ، فإذا لم يأت بالسبب إمتنع المسبب عن تحقيق المطلوب . حيث إن التوكل يعنى الاطمئنان إلى وعد الله ، والتسليم له والتفويض إليه مع القيام بالأعمال ، والأخذ بالأسباب التى تدفع الفرد إلى الحركة والنشاط ، وهو على يقين من أن الله كفيله فيما يهدف إليه ، ونستطيع أن نوضح الأمر بالنسبة لعملية الأطمئنان والتسليم والتفويض التى على الله ، بالنظر فى حالة بعض الأفراد الذين يعتمدون فى تسيير أمورهم - مع الفارق الكبير فى الإعتماد على الإنسان والإعتماد على الله ، إنما هو مثال لبيان المقصود - على الوكيل الذى إختاره لينوب عنه يعتمد عليه فى تحقيق أهدافه بأن مثل هذا الاعتماد يزيل عن الموكل مشاق انتظار تحقيق الأهداف لأنه قد وكل انسانا ذا خبرة ودراسة بالأمر . ومن أجل ذلك فهو يرضى بكل ما يفعله وكيله بناء على اختياره له ، وتفويضه أياه ، ومن هنا تحدث درجة من درجات الإطمئنان والإستقرار النفسى للموكل لأنه قد وكل من هو أخبر منه فى هذا الأمر . فما بالك بتوكل العبد المخلوق على خالقه ألا يكون أحرص ، وأشفق ، وأوفى عليه ممن سواه سبحانه وتعالى جلت قدرته ، وتعالت خبرته بمخلوقه .

والتوكل الذى يحقق الأمن والأطمئنان للانسان ، هو التوكل على أساس صحة التوحيد ، أى الإيمان بالله الواحد الأحد ، والإلتزام بمنهجه ، والأخذ بأسبابه ، والإعتماد على المسبب لا الأسباب ، بحيث لا يشوب قلب الإنسان شائبه ، أو يصاب بما يحدث القلق فى نفسه لتحويل التوكل على الأسباب لا على المسبب ، بل يجب أن يكون على يقين بالله ، وحسن الظن به سبحانه وتعالى ، ذلك لأن حسن الظن بالله يدعو الإنسان إلى التوكل عليه ، وأن اليقين بالله يؤدى الى إدراك الانسان الفرد أن الله كافيه ، ومعينه ، ومسدده فيما يقصد إليه من الأعمال فى جميع الظروف والأحوال ، وأن حسن الظن بالله يؤدى بالفرد إلى تحقيق التفاؤل فى نفسه بحدوث ما يتطلع إليه ، وحسن ولاية ربه له.

وإذا ما استطاع الانسان أن يتوكل على الله حق التوكل ، أى التوكل الصحيح بالإعتماد على الله ، والتسليم له ، والتفويض إليه ، والأخذ بالأسباب ، فإنه يكون بهذا قد وصل الى الدرجة التى يحقق عن طريقها الإحساس بالرضا ، الذى يعد ثمرة من ثمرات التوكل على الله ، وأساساً من أسس الصحة النفسية السليمة ، التى طالما تحدث عنها علماء النفس فى العصر الحديث . إن التوكل على الله وفق هذه الأسس يتطلب أن ينتقى الإنسان الأسباب التى يرضى عنها الله والتى يفترض أنها تؤدى إلى تحقيق الأهداف والأغراض التى يتطلع إليها ، فمن توكل على الله قبل الأخذ بالأسباب التى

يرضى عنها الله ورضى بماقضى له بعد ذلك ، كغارس الشجرة ، وواضع البذرة فى الأرض ، وهو على ثقة ويقين من طلوع ثمرتها بعد إتخاذ كافة الأسباب لرعايتها ، فإنه سيحصل بإذن الله على الثمر ، وعندئذ يفرح بما أتاه الله ، وأنعم به عليه و يتحقق بذلك ما كان يصبو إليه الإنسان من درجات الأمن والآمان ، والثقة والإطمئنان .

والمتتبع لآيات الله البينات فى كتابه العزيز يجد أن الله سبحانه وتعالى يؤكد على أهمية ونتائج التوكل عليه ، فسبحانه يوجه قوله لعباده المؤمنين بضرورة التوكل عليه ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة : ٢٣) ، ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (ابراهيم : ١٢) وذلك لأن التوكل الحقيقى مقرون بالإيمان ، وإذا إنتفى الإيمان إنتفى التوكل ، وأنه من صفات المؤمنين ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال :٢) فالتوكل طريق المؤمن وملاذه وملجأه من الوقوع فى الإضطراب والقلق . ومن أجل ذلك فقد أخبر الله تعالى الرسول "ﷺ" أن من يريد الهدوء والإطمئنان النفسى فى حياته الدنيا والآخرة ، فليتوكل على الله ، وليطمئن، ما دام قد توكل على الله حق التوكل ، وصدق قوله تعالى : ﴿ .. وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ..﴾ (الطلاق : ٣) ومن أجل ذلك نجد أن المؤمنين حق الإيمان يقولون ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة :٤) وهم بقولهم هذا يستشعرون مدى ما وقر فى نفوسهم من الإحساس

بالأمن والإطمئنان ذلك لتوكلهم حق التوكل على الخالق الحى الذى لا يموت ، وقد أكد سبحانه وتعالى - كما سبق القول - أنه كفيل من يتوكل عليه ﴿ .. **وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً** ﴾ (النساء : ٨١) .

وهكذا عديد من الآيات تشير إلى ما يمكن أن يقوم به التوكل على الله من احساس الانسان بالأمن والأمان ، ولذلك يتعجب الرسول من سلوك بعض العباد الذين لا يتوكلون على خالقهم ﴿ **وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا** ﴾ (ابراهيم : ١٢) ، وفى هذا بيان للإنسان بأنه لا يصاب بالقلق بعد أن هداه الله ، فإهتدى ، وتوكل عليه حق التوكل ، وعندئذ يعم الاستقرار فى النفس ، ويشيع الهدوء والإطمئنان . حيث إن هذا التوكل يحافظ على عزة النفس ، ويصون كرامتها ، ويحميها من طلب العون والمساعدة من غير الله الخالق الأوحد ، فلا يضع الإنسان نفسه فى موضع الذلة والمهانة .

ولهذا اذا ادرك الانسان مفهوم التوكل إدراكاً صحيحاً ، وأصبح على علم ومعرفة به ، ويقين بما يترتب عليه من نتائج نفسية ، وممارسة فى كل ما يصدر عنه من أقوال ، وأفعال ، وأحوال ، ووثق به ، وسكن إليه ، اطمأنت نفسه ، وهدأ باله ، واستقرت أموره وأحواله ، وقد كان رسول الله "ﷺ" يقول : " اللهم[1] إنى أسلمت نفسى إليك

---

(١) صحيح البخارى ، جـ ٤ ، ص ١٠٠ ، كتاب الدعوات . باب ما يقال اذا قام .

وفوضت أمرى إليك " وعندما يصدق العبد مع ربه فى التوكل فإن الله يصدق العبد فيما يقصده فيه وقد توكل مؤمن آل فرعون عندما قالوا : (.. وَأُفَوِّضُ أمرِىَ إلىَ اللّهَ إنّ اللّه بَصِيرٌ بِالعِبادِ) (غافر : ٤٤) ولما صدق فى ذلك نجد أن الله وقاه من سيئات ما مكروا (فَوَقَـٰهُ اللّهُ سَيِّئَات مَامَكَرُواْ) (غافر : ٤٥) ، وقد أدرك المسلمون الأوائل قيمة الالتزام بالتوكل على الله ، لمعرفتهم اليقينية الأثر النفسى المترتب على التوكل على الله حق التوكل ، إيمانا منهم بأن الله كاف عباده فى أمور حياتهم ودنياهم ، فعاشوا حياة طيبة مثمرة تتميز بالهدوء والإستقرار والإطمئنان النفسى .

رابعاً : الاستقامة على منهج الله

إن الباحث فى كتب التراث الاسلامى يجد عديداً من العوامل والأسس التى يمكن أن تسهم فى تحقيق قدر كبير من الصحة النفسية السليمة للإنسان ، ومن بين هذه الأسس "الإستقامة" التى تناولها علماء المسلمين بالدراسة والبحث لما لها من أهمية فيما يمكن أن تكون عليه حياة الفرد والمجتمع إذا ما إلتزم بها كأساس لا يحيد عنه فى حياته .

ولتحديد مفهوم الإستقامة وبيان دلالتها لغويا لابد من الرجوع إلى المعاجم العربية

فنجد أن صاحب القاموس [١] قد ذكر : استقام إعتدال ، وقومته عدلته فهو قويم مستقيم ، ويذكر صاحب لسان العرب[٢] أن : الاستقامة الإعتدال ، قام الشيء واستقام إعتدال وأستوى ، ويشير إلى أن أبا يزيد قد ذكر : أقمت الشيء ، وقومته فقام بمعنى إستقام ، قال : والاستقام إعتدال الشيء واستوائه .

والإستقامة التى تعتبر مطلبا أساسيا لتحقيق السواء النفسى للإنسان من وجهة نظر الاسلام هى تلك الاستقامة المرتبطة بالدين ، ذات المصدر الايمانى بالله الواحد الأحد، والتى تعنى كما قال : أبو بكر[٣] رضى الله عنه عدم الشرك بالله "أن لا تشرك بالله شيئا " ذلك لأنه إذا إستقام الإنسان على الإيمان بالله الواحد الاحد ، فإن أمور حياته تسير على خير وجه ، وأكمل صورة ، ويصبح حاله على درجة من الإستقرار والإطمئنان النفسى ، ويتفق "عمر بن الخطاب" رضى الله عنه مع المضمون الذى أشار إليه "أبو بكر الصديق" لبيان وتحديد مفهوم الاستقامة ، عندما قال : " أن تستقيم على الأمر والنهى ولا تروغ روغان الثعالب " بمعنى أن يلتزم الإنسان فى سلوكه بأوامر الله ، وأن ينتهى عما نهى ، وألا يتخذ المبررات وسيلة أو سببا لعدم الإلتزام بما أمر أو نهى عنه الله ،

---

(١) الفيروز ابادى ، جـ ٤ ، ص ١٦٨ .

(٢) ابن منظور ، المجلد الثالث ، ص ١٩٢ .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم الجوزية ، جـ ٢ ، ص ص ١٠٣ - ١١٢ .

ويبين "عثمان بن عفان" رضى الله عنه أن الاستقامة تعنى الإخلاص فى العمل لله ، عندما قال : " استقاموا : اخلصوا العمل لله" كما يتفق كل من "على بن أبى طالب" ، و"ابن عباس" رضى الله عنهم على أن الاستقامة تعنى آداء الفرائض التى فرضها الله "استقاموا أدوا الفرائض" . وهكذا تتفق آراء الصحابة رضى الله عنهم على أن الاستقامة هى عدم الإشراك بالله ، وما يترتب على ذلك من ضرورات ترتبط فى كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك . كما يرى صاحب المنازل[١] "ابو عثمان عبدالله الهروى" أن الاستقامة روح تحى بها الأحوال ، كما تربوا للعامة عليها الأعمال .

ومن هذا يبدو واضحاً أن الإستقامة موضع القصد هنا تعنى إلتزام الإنسان فى كل ما يصدر من أقوال وأفعال وأعمال ، وفى مختلف الظروف والأحوال بأوامر الله الواحد الأحد ، والإنتهاء عما نهى ، وألا يقدم المبررات والأسباب ليحيد عن طريق الحق والصواب وأن يظل الإنسان مؤديا لفرائض الله ، ومنفذاً لدعوته التى دعا إليها بكل الحب والرضا والإخلاص ، وعندئذ يتحقق العائد منها فى حياته الدنيا الآخرة .

ويؤكد رسول الله "ﷺ" على الإستقامة كأساس يلتزم به الإنسان فى حياته ، يحقق من ورائه كثيراً من أسباب الهدوء والإستقرار النفسى حين لبى عليه

(١) منازل السائرين للهروى ، ص ٧٢ .

الصلاة والسلام طلب سفيان بن عبدالله رضى الله عنه عندما قال : قلت[١] يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولاً ، لا أسأل عنه أحداً غيرك ، قال:" قل آمنت بالله ثم إ ستقم" .أى إستقم على التوحيد الصادق الذى يلزم الإنسان بمنهجه . فيأتمر بأوامره ، وينتهى بنواهيه، ومن هذه الإستقامة التسديد أى صدق النيات فى كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك سواء كان قولاً أو فعلاً ، وفق منهج الله . ومن أجل ذلك دعا رسول الله "ﷺ" إلى هذا الأمر فقال : " سددوا وقاربوا ..." وعندما قال "ثوبان" للرسول عليه الصلاة والسلام أن الإنسان قد لا يستطيع الإلتزام بكل أوامر الله ونواهية "أنهم لا يطيقونها" فنجد أن الرسول "ﷺ" قد دعاهم إلى المقاربة وهى الاقتراب من الاستقامة حسب ما يستطيعون ، ذلك لأن الاستقامة - كما سبق القول . - تعنى ضمن ما تعنى الأخذ بجامع الدين ، والإلتزام به أمام الله على أساس من تنفيذ العهد الذى أخذه الإنسان على نفسه عندما أقر بوحدانية الله وصدق قلبه بذلك ، ليصبح مستقيما على منهج الله فى أقواله ، وأفعاله ، وفى كل ما يصدر عنه من سلوك .

هذا ، وقد أشار[١] "ابن قيم الجوزية" إلى أن الإستقامة تعد أساسا من أسس صحة حياة الإنسان وقوامها ، وقد حدد ذلك فى عدد من الأبعاد التى تحقق الإستقامة للإنسان

---

(١) صحيح البخارى مسلم ، جـ١ ، ص ٦٥، كتاب الإيمان/ باب أوصاف الإسلام ، رقم الحديث ٣٨ .

(٢) انظر مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ص ١٠٧ - ١٠٩ .

ويتحقق الغرض منها ، وذلك عن طريق العمل وفق منهج الله ، والاجتهاد فى سبيل أن يكون العمل وفق هذا المنهج ، حيث إنها تعين الانسان على تحقيق الإقتصاد فيما يصدر عنه من سلوك ، فيصبح السلوك بين طرفى الافراط ، وهو الجور على النفس ، والتفريط فى الاضاعة ، وان يكون الانسان مخلصا فيما يصدر عنه من أعمال ، وذلك يتأتى بمدى موافقة الأعمال لأوامر الله ، وإتباع سنة رسول الله "ﷺ" . وعندئذ يستقيم للإنسان كل شىء فى الحياة من أعمال وأفعال وأحوال ، ذلك لاستقامة أعماله وأفعاله مع منهج الله مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت : ٣٠) ، ومن هنا يستطيع الإنسان أن يجنى آثار الاستقامة فى النفس ، فيشعر بالأمن والآمان ، والهدوء والاطمئنان ، لما وصل إليه من إستقرار الحال لإستقامة الأفعال والأعمال .

وإذا ما رجعنا إلى كتاب الله نجد أن الله سبحانه وتعالى قد أكد للإنسان المؤمن أنه إذا إستقام على منهج الله فإنه سيشعر بالإطمئنان فى الحياة الدنيا ، وينال الجنة فى الآخرة ، عندما قال وقوله الحق: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأحقاف : ١٣ - ١٤) .

وهكذا نجد أن الله سبحانه وتعالى قد ربط بين الايمان به والاستقامة على منهجه ودعا فى كثير من أياته إلى إلتزام الإنسان بالإستقامة فقال وقوله الحق ﴿ ..فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ (فصلت :٦) وأنه سبحانه وتعالى يبصر المؤمنين بالعائد أو الناتج من استقامة الانسان على منهجه عندما قال : ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ (الجن : ١٦) وغيرها من الآيات التى تؤكد للانسان المؤمن أهمية الاستقامة على منهج الله بعد الإيمان به ، وما يترتب على ذلك من راحة وهدوء نفسى فى الحياة الدنيا ، والثواب العظيم فى الآخرة .

خامساً : الرضا بالله ربا

وإذا كان الرضا قد اعتبره علماء النفس المعاصرين بعداً من الأبعاد الهامة التى تسهم بدرجة كبيرة فيما يمكن أن يكون عليه الفرد من الإحساس بالسواء النفسى ، فإن الإسلام قد أكد على أهميته فى حياة الإنسان منذ زمن بعيد ، حيث أعتبره أساسا من الأسس التى يتحقق عن طريقها مستوى أفضل من الصحة النفسية السليمة للفرد. ولبيان ذلك على أساس سليم لابد من التعرف على مفهوم الرضا وتحديده فى اللغة

العربية فنجد أن صاحب القاموس[١] يذكر أن الرضا ضد السخط ، وأرضاه ، وأعطاه ما يرضيه ، ويذكر صاحب لسان العرب[٢] كذلك أن : الرضا ضد السخط ، وأرضاه ، أعطاه ما يرضى به والرضيّ المطيع .

كما أننا نجد أن كثيراً من الباحثين[٣] المتدينين قد تناولوه بالتحديد ، فمنهم من اعتبر الرضا عدم الاعتراض والسخط على حكم صدر على العبد ، ومنهم من اعتبره سكون القلب إلى إختبار الله للعبد ، واعتبار أن هذا الإختبار هو الأفضل . ورأى بعضهم أن الرضا هو إرتفاع الجزع فى أى حكم كان ، وأشار آخرون إلى أنه استقبال الأحكام بالفرح ، كما أعتبر "يحيى بن معاذ" أن الرضا يقوم على أربعة أصول فيما يعامل به العبد ربه ، وهى "إن اعطيتنى قبلت وإن منعتنى رضيت ، وإن تركتنى عبدت ، وإن دعوتنى أجبت "، وبذلك يكون الرضا بقبول الانسان لعطاء الرب ، والرضا بمنعه ، وإجابة الإنسان لدعوته ، وعبادته فى جميع الأحوال . ويذكر "أبو عثمان[٤] عبدالله الانصارى الهروى" أن الرضا هو إسم للوقوف الصادق ، حيثما وقف العبد ،

---

(١) الفيروز أبادى ، جـ ٤ ، ص ٣٣٦ .

(٢) ابن منظور ، المجلد الأول ، ص ص ١١٧٧ : ١١٧٩ .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ، جـ ٢ ، ص ص ١٧١ - ١٧٧ .

(٤) منازل السائرين ، ص ص ٨٦ - ٩٠.

لايلتمس متقدماً ولا متأخراً ، ولا يستزيد مزيداً ، ولا يستبدل حالاً " ، وهم مع تحديدهم لمفهوم الرضا يرون أنه يكتسب ، ومن هؤلاء الخراسانيون الذين قالوا : إن الرضا من جملة المقامات ، وهو نهاية التوكل ، أى أن العبد يستطيع التوصل إليه باكتسابه بإعتبار الأخذ بأسبابه ، بينما يعتبره "العراقيون" توهيباً وليس كسباً للعبد ، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال ، على إعتبار حقيقته . وإن دل هذا على شىء وإنما يدل على أن الرضا كان موضع دراسة وبحث لدى علماء المسلمين كأساس يحقق للانسان الاحساس بالهدوء النفسى فى الحياة الدنيا ، وهذا مانص عليه ابن القيم[١] بقوله : "ان الرضا يثمر سرور القلب بالمقدور فى جميع الأمور ، وطيب النفس وسكونها فى كل حال ، وطمأنينة القلب عند كل فزع مُهْلِع من أمور الدنيا" ذلك لأن الرضا يجعل قلب الإنسان خاليا من الهم ، بعيداً عن الغم لتفرغه لعبادة ربه ، فلا يشعر بمتطلبات الدنيا وأثقالها ، ولا يلتفت إلى همومها ، ولايُسلم نفسه لغمها ، وبذلك يحيا بعيداً عن شرورها ، وينعم بخيرها والفوز بالجنة فى الحياة الآخرة .

كما أنهم يرون أن الرضا يحقق الأمن والاطمئنان للانسان ، وهو ذلك الرضا الذى يستعمل صاحبه ، أو الذى لا يحجب الانسان إلى التطلع بحصول لذته ، ومن أجل

---

(١) مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٢٢٠ .

ذلك يجب أن يكون عمل الانسان ليس من أجل حلاوة الرضا - الاحساس به - بمعنى آلا يسعى الانسان إليه من أجل الحصول على لذة بالرضا ، بل يجعل هذا الاحساس باعثاً له للوصول إلى مقصده ومطلبه ، وبذلك يتحقق العائد الفعلى من الرضا ، ويصبح الانسان مستعملا له . وهكذا نجد أن الاحساس بالرضا لدى الانسان المسلم لا يعد نهاية المراد بل هو باعث لمزيد من الأعمال والأفعال التى من شأنها أن تحقق إستمرارية الإحساس بالرضا .

وهم يؤكدون على أن الرضا وسيلة الانسان لتحقيق الأمن والاطمئنان ، وأن به تهدأ النفس ويطمئن القلب ، ويعم السرور والفرح لاحساسه بالرضا الذى طلبه العبد من ربه ، ومن أجل ذلك قال رسول الله "ﷺ" من قال حين يسمع النداء رضيت بالله ربا ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد رسولا ، غفرت له ذنوبه[1] وكان الانسان ملتزماً حق الالتزام بهذا القول ، وتأكد ذلك عن طريق رضا النفس بما جاء يخالف هواها ومرادها ، فإنه يصل بذلك إلى غاية الهدوء والإطمئنان النفسى حيث غفران الله له .

ويرون أن طريق الانسان للرضا ، طريق مختصر . وقريبه جدا ، وموصلة إلى الغاية وأنها أيسر من طرق الجهاد ، وليس فيها عقبات ، كما أن الرضا من منطلق الفهم

---

(١) " الا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة ".

الإسلامى لا يفارق - من إلتزم بالأخذ بأسبابه - فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ذلك لأن عاقبته طيبة تعود على النفس بالقوة لتحمل وتقبل كل ما يرد عليها من الله فى الدنيا .

وقد توصلوا إلى ذلك من تدبرهم لآيات الله البينات فى القرآن الكريم ، وفهمهم الدقيق لأحاديث رسول الله "ﷺ" ، وملاحظاتهم لمظاهر الرضا على الذين رضوا بما قسم الله لهم فى الحياة الدنيا . حيث كانوا لا يشعرون بالضيق أو الملل ، أو السخط ، بل كانوا على درجة من الهدوء والإستقرار والإطمئنان والفرح والسرور . ويذكر "ابن[1] القيم" حكاية أمرأة من العابدات عثرت فانقطع أصبعها ، فضحكت ، فقال لها بعض من معها : أتضحكين ، وقد إنقطعت أصبعك فقالت أخاطبك على قدر عقلك ، حلاوة أجرها انستنى مرارة ذكرها . وهذا يعنى أن رضا هذه العابدة ، بما حدث وصبرها عليه ، جعلها تنسى آلامها لتتذكر عائد رضاها وصبرها على قضائه وعلى أساس أن ما يحدث للانسان من قبيل تذكر الخالق لعبده ، تصديقا لقول الشاعر :

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة   فقد سرنى أنى خطرت ببالكا

ويذكرنا القرآن الكريم من حين لآخر بأهمية رضا العبد بربه ، ورضاه بقضائه ،

---

(١) مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

وما يترتب على ذلك من نتائج وآثار طيبة على الإنسان - كما سبق القول - فى الحياة الدنيا والآخرة ،عندما قال سبحانه وتعالى﴿ قُل أغَيرَ اللهِ أبغى رَبّاً وَهُوَ رَبّ كُلِ شَىءٍ ﴾ (الأنعام : ١٦٤) وقوله تعالى : (قُل أغَيرَ اللهِ أتّخذُ وَليّاً) (الأنعام : ١٤) . وأنه يجب على الانسان المؤمن أن يعتمد على ربه فى تلبية حاجاته ، ويرضى بقضائه.فإن ذلك يشير إلى رضا العبد بكل ما يأمر به خالقه سبحانه وتعالى، أو يُنهى عنه . إذا لم يفعل الانسان المؤمن ذلك كله لم يكن قد رضى به رباً . وكذلك الأمر بالنسبة للرضا بما يفعله ، وصدق الله تعالى : (يَاأيّتهُا النّفسُ المُطمَئنةُ * ارجِعى إلى رَبّكِ رَاضيَةً مرضية * فَادخُلى فى عِبَدِى * وَادخُلى جَنّتِى) (الفجر : ٢٧-٣٠) فإن دخول النفس المطمئنة ضمن عباد الرحمن ، ودخولها الجنة نتيجة وأثرا من آثار الرضا بالله وبقضائه ، مصداقا لقوله تعالى : (خَلدِينَ فِيهَا أبَداً رَضِىَ اللهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ) (البينة : ٨) .

هذا ، ويعد رضا الله عن العبد ، وما يترتب على ذلك من آثاره أكبر بكثير من دخوله الجنة ذلك لأن الرضا صفة الله ، والجنة خلقه ، وصدق الله تعالى : (وَعَدَ اللهُ المُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَـٰتِ جَنّٰتٍ تَجرى مِن تَحتِهَا الأنهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسٰكِنَ طَيِبَةً فى جَنّـٰتِ عَدنٍ وَرِضَـٰونٌ مّن اللهِ اكبَرُ ذَلكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ) (التوبة : ٧٢) حيث إن العبد لا يدخل الجنة أساسا إلا برضا الله ورحمته .

والعبد المؤمن حق الإيمان ، يكون راضياً بقضاء ربه ، ذلك لأنه لا يعلم من مستقبله شيئا ، ولا يدرك مصلحته إدراكاً حقيقياً كما يعلمها خالقه ، ولذلك فإن إيمان العبد بقضاء ربه يضفى عليه كثيراً من الخير فى الحياة الدنيا والآخرة كما قال رسول الله[١] "ﷺ" عجباً لأمر المؤمن ، ان أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وان أصابته ضراء صبر ، فكان خيراً له " ولذلك فان العارفين بالله يعلمون أن الرضا باب الله العظيم ، ومستراحهم وجنة دنياهم ، وأن السخط وعدم الرضا باب الهم والغم والحزن ، وإضطراب القلب وتشتته ، وسوء الحال . ولهذا كان الرضا هو مصدر الأمن والإطمئنان ، والراحة للإنسان ، حيث تهدأ نفسه بالقبول ، ويطمئن قلبه بأن ما عند الله خير وأبقى ، وتتنزل عليه السكينة ، فيستقم حاله ، وتصلح أحواله ، ويستريح باله ، وتعم حياته الر[illegible] والهدوء ، فيذوق طعم طيب العيش ولذة الحياة .

هذه هى ثمار الرضا ونتائجه ، هل يجد الانسان فى أى مفهوم بشرى للرضا مثل هذا العائد ؟ وهل يتلقى اذا إلتزم به حق الالتزام مثل هذه النتائج والآثار ؟ أقول أنه ليس هناك - حقيقة - أعظم من إلتزام الانسان بمفهوم الرضا الإسلامى، ذلك لأنه يعد من

---

(١) صحيح مسلم ، جـ ٤ . (٢٢٩٥) ، كتاب الزهد والرقائق / باب المؤمن أمره كله خير ، رقم الحديث (٢٩٩٩) .

الأسس التى من شأنها أن تحقق له أفضل مستوى من الصحة النفسية السليمة فى الحياة الدنيا، وأنه ينال رضوان الله وجنته فى الحياه الآخرة .

كما أن الرضا فى منطلق المفهوم الإسلامى يفتح للانسان طريق السلام فى الحياة الدنيا والآخرة . حيث ينقى قلبه من الغش والغل والنفاق والخبث ، وكلها أمور تجعل من ليس فى قلبه شيئا موضع حب واحترام وتقدير ووئام مع نفسه ومع غيره من الناس . وعلى العكس من ذلك نجد من لا يتحلون بالرضا ، ولا يلتزمون به يحاورن ، ويغامرون ويلوون الأحداث والأقوال والأفعال لتسير وفق قرارهم ، وتجرى بما يلائم نفوسهم ،وبما يحقق لهم أغراضهم وأهدافهم ، سواء كان ذلك بطرق مشروعة أو ممنوعة أو غير مرغوبة، ولهذا يكونون موضع ازدراء من الناس ، وإحتقار منهم ، الأمر الذى يجعلهم غير متوافقين مع أفراد مجتمعهم ، وبذلك لا يتحقق لهم السواء النفسى .

هذا ، ويشكل الرضا بالمفهوم الاسلامى السلوك الانسانى المتوازن الذى يحقق للإنسان الاحساس بالراحة والهدوء النفسى ، فالإنسان المسلم الذى يتخذ من الرضا وسيلة للأمن والإطمئنان تنتفى عنه آفات الحرص الذى قد يؤدى إلى البخل ، وكذلك التكالب على الحياة الدنيا الذى يؤدى إلى التوتر والقلق والإضطراب . والإنسان الراضى لا يميل إلى هوى النفس ، بل يجعل هوى نفسه وفق مراد ربه . أى الذى أراده الله واختاره لعبده ، ويرضى بذلك فلا يجد لهوى النفس تغلبا على سلوكه فيكون مقيدا فيما يصدر

عنه من أقوال وأفعال وأعمال ، فتتزن أموره ، ويتحدد طريقه ، فلا يتخبط بين الطرق .
كما أن تغيير السلوك الانسانى من الصواب إلى الخطأ ، أو من الخطأ إلى الصواب ،
مرتبط ارتباطا كبيرا بمدى حدوث الرضا . ويوضح ذلك عدم رضا "ابليس" عن حكم الله
بتفضيل آدم وتكريمه فعصى بذلك ربه ، وكذلك عدم رضا آدم بما أباحه الله له من الجنة
فارتكب خطيئته ، أما كفار قريش الذين آمنوا ، ورضوا بالله رباً لهم فقد غيز الرضا
إتجاهاتهم كلية ، وعدل سلوكهم ، وأصبحوا على غير ما كانوا فى أقوالهم وأفعالهم
وجميع تصرفاتهم .

سادسا : الصبر على القضاء

يعتبر الصبر من الأسس التى تشكل أهمية فيما يمكن أن يكون عليه الإنسان
المسلم من مستوى الصحة النفسية السليمة ، ولذلك نجد أنه قد نال إهتمام علماء
المسلمين على اعتبار أنه وسيلة ضرورية لإستمرار حياة الانسان على أساس من السواء
النفسى ، ولذلك فهو واجب بإجماع الأمة ، وهو من وجهة نظر علماء الاسلام نصف الإيمان
، لأنه إعتبر بمثابة الرأس من الجسد ، وأنه لا إيمان لمن لا صبر له .

هذا ، ولبيان مفهوم الصبر وتحديده لابد من الكشف فى المعاجم العربية ، فنجد

أن صاحب[١] القاموس المحيط يذكر : يَصْبِرُهُ حَبَسَهُ ، وصَبّره طلب منه أن يصبر ، والصبر حليم ، والصبر نقيض الجزع ، ويذكر صاحب [٢]لسان العرب : أن الصبر الحبس ، اذا حبس رجل نفسه على شيء يريده قال : صَبَرْتُ نفسى ، وصبر الرجل يصبره لزمه ، والصبر نقيض الجزع ، صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرا ، وصبرته أنا حبسته ، ويذكر "الجوهرى" مفهوم الصبر حيث إعتبر أنه " حبس النفس عند الجزع" .ويحدد صاحب[٣] تاج العروس هذا المفهوم عندما ذكر " صبره عنه يصبره صبراً حَبَسهُ ، حَبَسَ رَجْلُ نفسه على شيء يريده قال : صَبَرْتُ نفسى والصبر نقيض الجزع" .

هذا ، وقد سعى علماء الاسلام لتحديد مفهوم الصبر ، فقد عرفه ابن القيم[٤] بأنه "حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش" ويذكر أن ذا النون[٥] المصرى اعتبر الصبر هو "التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجزع غصص البلية ، واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة" بينما عرفه بعضهم بأنه "الوقوف مع البلاء بحسن الأدب" وعرفه الآخرون بأنه "الفناء

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى ، جـ ٢ ، ص ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) ابن منظور ، المجلد الثانى ، ص ص ٤٠٣ - ٤٠٥ .

(٣) للزبيدى ، جـ ١٢ ، ص ٢٧١ .

(٤) انظر مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

فى البلوى ، بلا ظهور ولا شكوى " وقيل انه " المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العانية" ، كما حدده "عمرو[١] بن عثمان" بقوله : " هو الثبات مع الله ، وتلقى بلائه بالرحب والسعة " ورأى آخرون أنه " تجرع المرارة من غير تعبس" واعتبره[٢] أبو عثمان الهروى " حبس النفس على المكروه ، وعقل اللسان عن الشكوى " ، على حين اعتبره "الحريرى[٣] أن لا يفرق بين حال النعمة وحال المحنة مع سكون الخاطر فيها .

ويتضح مما تقدم أن مفهوم الصبر لغويا وإصطلاحيا لا يخرج عن كونه تقوية النفس وحملها على ضرورة الالتزام بأوامر الله ، والابتعاد عما نهى فى حالة ظروف الرخاء والرحب والسعة ، وعدم الجزع والتسخط والشكوى حال وقوع الحوادث والبلية ، وأن يتلقاها الانسان بقبول يتضح فيه أدبه ورضاه حال نزولها ، فلا يسمح لنفسه أن تجزع نتيجة وقوع مثل هذه الأحداث ، وأن يستوى عنده حال النعمة والمحنة ، فلا يصاب بضيق واضطراب القلب لأنه يتمتع بثبات فى علاقته بخالقه الواحد الأحد ، وبذلك يمكّن الصبر الإنسان من الاستقرار النفسى حال حدوث الأحداث ونزولها ، سواء كانت سارة أو ضارة .

---

(١) تارج العروس للزبيدى ، جـ١٢ ، ص ٢٧٣ .

(٢) منازل السائرين ، ص ٨٤ .

(٣) تاج العروس للزبيدى ، جـ ١٢ ، ص ٢٧١ .

هذا ، كما تحدث علماء الاسلام عن النتائج والآثار المترتبة على تحلى الانسان المسلم بالصبر . حيث يعين الفطرة السليمة على الإلتزام بجوهرها الطيب النقى ، فلا تفسد بجزعها أو تنحرف بشكواها ، أو تضيع بالتأثر بالنوازل والنوائب ، وعندئذ يشعر الانسان بقيمة تحليه بالصبر فيحس بالاستقرار والهدوء النفسى . حيث أوكل الأمور لخالقه ، ورضى بما نزل به ، وصبر حتى تنكشف الغمة ، وتزول الكربه ، وقد أشار رسول اللهﷺ إلى أن صبر المؤمن كله خير عندما قال : عجباً[1] لأمر المؤمن ! إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمنين ، ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " كما أخبر رسول اللهﷺ أن الصبر ضياء كما ورد فى الحديث الشريف[2] " .. الصبر ضياء " وقال عمر بن الخطاب "خير عيش أدركناه بالصبر" أى أن الحياة الطيبة الهادئة تكون مع الصبر وليس بدونه .

ولذلك نجد أن رسول الله "ﷺ" قد أمر المصاب بأنفع الأمور له وهو الصبر والاحتساب ذلك لأن الصبر يعين الانسان على التخفيف مما لحق به من النوازل والمصائب. فضلا عن نوال الأجر ، والأمر يكون على خلاف هذا إذا جزع الانسان أو إشتكى فإن ذلك

---

(١) صحيح مسلم ، جـ٤ ، ص ٢٢٩٥ ، كتاب الزهد والرقائق / باب المؤمن آمره كله خير ، رقم الحديث ٢٩٩٩ .

(٢) صحيح مسلم ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ ، كتاب الطهاره / باب فضل الوضوء ، رقم الحديث ٢٢٣ .

يزيد من الاحساس بحجم النازلة وكبر المصيبة فى الدنيا ، مع ضياع الأجر فى الآخرة ، وأكد الرسولﷺ على أن الصبر خير كله فقال : [١] " ما أعطى أحد عطاء خيرا له وأوسع من الصبر " .

ومع أن الصبر يتطلب من الإنسان الجهد ذلك لأنه مر المذاق ، الا أن له من العواقب والنتائج ما هو أفضل . حيث يعقبه الخير كل الخير ، كما حدثنا رسول الله "ﷺ" . فبه يهدأ الانسان ويحتسب عند الله ، فينعم الله على عبده بالسكينة والهدوء والاطمئنان ، وهذا أقصى ما يتمناه الانسان العاقل الواعى فى الحياة .

ولما كانت الحياة فى أساسها دار إبتلاء وإختبار للإنسان ، فهى لا تخلو من النوائب وما يترتب عليها من إحساس الانسان بالضيق والكدر ، نتيجة لما يحدث من أزمات مادية أو إجتماعية أو حضارية ، كان لابد للإنسان المسلم من عوامل وقائية تقيه ما يترتب على نزول هذه المصائب عليه وما ينتج عنها من حالات الصراع والقلق والاطراب وما يتبع ذلك من إحساس بعدم الثقة والاطمئنان - بعد الأخذ بالأسباب لإزالة مصادر هذا الإضطراب - فالصبر هو الذى يجعل الإنسان جسوراً حال حدوث الإبتلاء ، بحيث يكون على درجة من الإستعداد النفسى لتحمل الأعباء ، وهو على ثقة من أن الله سبحانه وتعالى سيأتى بالفرج القريب العاجل .

---

(١) صحيح مسلم ، جـ٢ ، ص ٧٢٩ كتاب الزكاة / باب فضلى التعفف والصبر ، رقم الحديث ١٠٥٣.

ومن أجل ذلك نجد أن الله قد أمر الانسان المسلم بضرورة التحلى بالصبر حال وقوع النوائب والأحداث عندما قال : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (البقرة :٤٥) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ ...﴾ (آل عمران : ٢٠٠) وحذر الناس من عدم الإلتزام به ، والأخذ بضده عندما قال : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (الأحقاف : ٣٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ .. ﴾ (آل عمران : ١٣٩) حيث إن ما يصاب به الانسان من وهن وضعف يكون بسبب عدم الصبر والالتزام به .

كما أن الله سبحانه وتعالى قد وعد الصابرين بمحبته عندما قال : (وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ) (آل عمران : ١٤٦) ، وأكد لهم سبحانه وتعالى أنه معهم (.. إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) (البقرة : ١٥٣) ، (وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) (الأنفال : ٦٦) ومن كان الله معه فإنه لا يضل ولا يشقى ، حيث تتنزل عليه الرحمات والخيرات، وخاصة عندما تحل بالإنسان النوائب فتهدأ نفسه ، ويشعر بالإستقرار النفسى .

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى كتابة الكريم بالعائد على الانسان من الالتزام بالصبر عندما قال : (وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ) (النساء : ٢٥) ، (وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ) (النحل : ١٢٦) ، وفى هذا دليل واضح على أن

الصبر طريق إلى الخير . هذا ؛ وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الصابرين سينالون جزاءهم كاملا (وَلَنَجزِيَنَّ الذينَ صَبَرُوا أجرَهُم بِأحسَنِ مَاكَانُوا يَعمَلُونَ) (النحل : ٩٦) ويوفون أجرهم بغير حساب ، (.. إنما يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أجرَهُم بِغَيرِ حِسَابٍ) (الزمر : ١٠) ، ومن أجل ذلك فان الله سبحانه وتعالى قد بشر الصابرين (وَلَنَبلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِّنَ الخَوفِ وَالجُوعِ وَنَقصٍ مِّنَ الأموَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّٰبِرِينَ) (البقرة : ١٥٥) . ولهذا فإن المؤمنين الصادقين يدركون تمام الإدراك العائد الفعلى من الصبر .ومن أجل هذا فهم يدعون ربهم بأن يفرغه عليهم (رَبَّنَا أفرِغ عَلَينَا صَبراً) (الأعراف ١٢٦) ، ذلك لأن النجاة من الأضطراب والقلق فى الحياة الدنيا تتم عن طريق الشعور بالأطمئنان، على أساس ماسيناله الصابرون من ثواب الآخرة. ذلك لأنه خير وأبقى ، وأن الفوز بالنجاة من النار ، ودخول الجنة يكون بالصبر . حيث ينعم الصابرون بدخول الملائكة عليهم مصداقا لقوله تعالى : (.... وَالمَلائكة يَدخُلُونَ عَلَيهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيكُم بِمَا صَبَرتُم فَنِعمَ عُقبَى الدَّارِ) (الرعد : ٢٣-٢٤) .

ويعتبر الصبر من أسس الصحة النفسية فى الإسلام ذلك لأنه يكسب الانسان كثيرا من الخبرات والعبر والعظات - وصدق قول الله تعالى عندما قال : (.. أن أخرِج قَومَكَ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إلىَ النُّورِ وَذَكِّرهُم بِأيَّٰامِ اللّهِ إنَّ فيِ ذَلكَ لأيَٰتٍ

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (ابراهيم : ٥) ، كما قال فى أهل سبأ (فَجَعَلْنَـٰهُم أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُم كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (سبأ:١٩) مما يعينه على السير فى الطريق السليم ، وإصدار السلوك الصحيح الذى يوصله إلى حالة الاستقرار النفسى .

وهكذا من يتدبر آيات الله البينات يتضح له كيف عد الصبر أساسا من أسس الصحة النفسية السليمة للإنسان المؤمن ، وخاصة إذا تدبر المؤمن قول الله فيه ، وأدرك مكانة الصابرين عنده ، والتزم بأمره تعالى فى ضرورة التحلى به عند الشدائد ، ذلك لما له من نتائج وآثارطيبة على استمرارية حياة الانسان بدرجة من الهدوء والاستقرار النفسى. حيث إن الصابر يحتسب أجره على الله ، ويطمع فى رحمته ورضاه ، فتتنزل عليه رحمات ربه التى تهدىء من روعه، فيشعر بالأمن والرضا والاطمئنان . والأمر يصبح على خلاف هذاإذا لم يصبر الانسان حال نزول المصائب فإنه يصبح يائسا غير قادر على التعامل مع الناس ، وفهم حقيقة تصرفاتهم وسلوكهم إزاءه بشكل سوى سليم . مما يترتب عليه الرغبة فى الانطواء والبعد عن الناس ، والعيش فى حياة بائسة يائسة ، فينتابه القلق والاضطراب لفقدانه السواء النفسى والاتزان .

سابعا : الإلتـــزام بالقـيم الاســــــلامية

تعد القيم من أهم محددات صفة كل من الفرد والمجتمع ، ولذلك يختلف الأفراد فيما بينهم على أساس مايصدر عنهم من سلوك تحدده قيمهم . كما تختلف خصائص كل مجتمع عن المجتمع الاخر تبعا لاختلاف نوعية القيم التى يتبناها لنفسه . هذا ، وتحدد القيم مجموعة المعايير التى يتم عن طريقها الحكم على الاشياء ، والاشخاص ، والموضوعات بأنها صالحة أو غير صالحة .

ولهذا فان القيم تقوم بدور هام وأساسى فى حياة الفرد .حيث تحد د بدرجة كبيره سلوكه وتسهم فى بيان ملامحه . ومن أجل ذلك لا يمكن إعتبارها سمات مجرده ، لأنها تدفع الفرد عندما يسلك إلى تحديد نمط سلوكه وتوجيهه وجهة معينة . ولهذا إحتلت القيم أهميه بالغة فى مجال التنشئة الاجتماعيه ، ذلك لقدرتها الفائقه على تشكيل سلوك الانسان وتحديده . مما يجعله قادرا على الإسهام الفعلى فى نمو المجتمع وتحضره .

ومن المؤكد أن كل أمة من أمم العالم ، وكل مجتمع من المجتمعات له ثقافته التى تميزه عن غيره من المجتمعات ، وكل ثقافة لها تنظيم قيمى مستمدة من هذه الثقافة، وكل فرد من أفراد المجتمع يكتسب هذا التنظيم بدرجة أو بأخرى ، وتتفاوت درجة اكتساب الأفراد فى المجتمع الواحد للقيم تبعا لمدى عمق الثقافة فى مجتمعه أو

مدى إنتماء الفرد لهذا المجتمع . كما يتوقف على ذلك مدى سرعة وسهولة اكتساب هذا التنظيم القيمى.

ويحدد هذا التنظيم القيمى نقط الالتقاء التى يلتقى عندها سلوك الأفراد داخل المجتمع الواحد ، بما يؤدى إلى وحدة الكيان الاجتماعى للدولة ، ووحدة المشاعر والأحاسيس فيها ، بما يؤدى إلى فهم أفراد المجتمع فهما صحيحاً لبعضهم الاخر . الأمر الذى يعين على تهيئة مناخ نفسى سليم يحيا فيه أفراد المجتمع بلا قلق ولا إضطراب ، وبذلك تسهم قيم المجتمع فى مدى التماسك الداخلى السوى للمجتمع .

هذا ، فضلا عن أن القيم تمكن أفراد المجتمع من تحديد إطار شخصيتهم ، وتؤثر بدرجة كبيرة فى مدى سوائهم النفسى .حيث إنه كلما كلما كانت قيمهم على درجة عالية من القوة كانت قرارتهم لحل ما يعترضهم من مشكلات أو موضوعات ، أو تحديد موقف معين أزاءها ، الأمر الذى يحول بينهم وبين الوقوع فى دائرة الاضطراب والقلق ، وبالتالى يتحقق لهم الاستقرار والهدوء النفسى . بالإضافة إلى أن تمسك الأفراد بالقيم يجعلهم موضع تقدير واحترام من الجميع . بما يجعل لهم تأثيراً على غيرهم من أفراد المجتمع فى عملية تعديل سلوكهم ، وفق هذه القيم وما يترتب على ذلك من إحساس الجميع بالتوافق فى معاملاتهم مع بعضهم .

وبناء على ذلك فإنه يمكن القول بأن القيم أو التنظيم القيمى الذى يتبناه كل من الفرد والمجتمع ضرورة إجتماعية لكل منهما . حيث يشكل أهمية فى سرعة التجاوب والتفاعل والانخراط فيما بيهما ، فإنه يعتبر - كذلك - ضرورة أساسية لتحقيق مستوى أفضل من الصحة النفسية لأفراد المجتمع بما يحدثه من تجاوب وتفاعل على أساس سليم، وبما يسهم فى تهيئة مناخ نفسى اجتماعى صحيح يتيح للجميع فرصة تحقيق النمو والتقدم للمجتمع على أساس أن أفراد المجتمع يعيشون واقعا انسانيا صحيحا بمعنى الكلمة يهيئ لأفراده العيش فى مناخ نفسى سليم .

ولهذا كان سعى الدول المتقدمة والنامية إلى المحافظة على قيمها التى أسهمت فى نموها وتقدمها فى فترات زمنية مختلفة ، وتعمل على إنتقاء مزيد من القيم التى يفترضون أنها ذات قدرة على إحداث الفاعلية بين أفراد المجتمع . والمتتبع للدراسات والبحوث المهمة فى مجال القيم والنمو الخلقى يدرك تمام الادراك مدى اهتمام مجتمعات الغرب وأمريكاخاصة بهذا الجانب ، ويتعرف على أن نتائج دراساتهم وبحوثهم التى تشير الى مدى الحيرة والقلق والاضطراب فى المناخ النفسى لأفراد هذه المجتمعات . حيث أسفرت كثير من نتائج البحوث عن وجود تضارب كبير بين القيم التى افترضوا أنها يمكن أن تسهم فى تحقيق السواء النفسى لأفراد هذه المجتمعات . ولعل ذلك يرجع إلى

أسباب عدة ، كاختلاف الطرق المنهجية ، والأساليب والوسائل التى يتم بها بناء وتكوين هذه القيم ، وإختلاف بيئات التجارب ، والعمق الثقافى الذى نبعت منه قيمهم الوضعية . فضلاً عن إختلاف المنطلقات والمناحى الفكريه للمؤسسات المعنية بالنمو الخلقى لأفراد المجتمع .

ولهذا يمثل موضوع القيم ، وعملية إكتسابها - من وجهة نظرهم - مشكلة أساسية تشغلهم دائماً وأبداً ، وذلك لأنها تنبع من ثقافات مختلفة ومتباينه وليست ذات مصدر واحد عميق وثابت ومستقر ، بل أنها عرضة للتغيير والتبديل لتساير النمو والتطور كما يعتقدون . ولهذا تسهم قيمهم بل وتعتبر سببا رئيسيا لكثير من حالات المرض النفسى. حيث إن هذا التضارب يؤدى بالفرد إلى المعاناه من القلق والاضطرابات الإنفعالية التى تدفع كثيراً منهم الى الانتحار وتفضيل مفارقة الدنيا عن العيش فيها ، ذلك لأنهم قد وصلوا إلى درجة من التخبط فى كل ما يصدر عنهم من سلوك وتصرفات تفقدهم الثقة بأنفسهم فيقدمون على مفارقة الحياة دون ندم عليها .

ولهذه الأسباب كانت دعوة الباحث إلى ضرورة الالتزام بالقيم الإسلامية كأساس لتحقيق السواء النفسى للانسان ، لأنها قيم منبثقة من عقيدة ذات منهج قويم ، وأنها قيم مطلقة وليست نسبية ، وأنها مكتسبة على أساس من المعرفة والفهم العميق

والالتزام بها ، وانها ذات مصدر ثقافى ضارب فى اعماق التاريخ ، ولها من النماذج الفعلية فى واقع الحياة الانسانية فى العصور الاسلامية الأولى وما يتبعها ، وأنها قيم ثابتة ومستقرة ، وغير قابلة للتغيير والتبديل ، وأنها قيم ملزمة للانسان المؤمن فى كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال فى مختلف الظروف والأحوال .

وللانطلاق فى تحديد أهمية الالتزام بالقيم الاسلامية لابد من بيان مفهوم القيمة لغوياً. فنجد أن صاحب القاموس المحيط[١] يذكر أن القيمة واحدة القيم ، ويرى أن "ماله قيمة إذا لم يدل على شيء" . ويذكر صاحب لسان العرب[٢] . أن القيمة : واحدة القيم ، والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم ، وهو من قيمة الشيء ، أى حددت لنا قيمتها ، وأمر قيم : مستقيم ، أى مستقيم حسن ، وفى الحديث ذلك ا ن القيم ، أى المستقيم الذى لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق ، وقوله تعالى **(فيها كـ ب قيمة)** ، أى مستقيمة تبين الحق من الباطل على إستواء وبرهان .

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى ، جـ ٤ ، ص ١٦٨ .

(٢) ابن منظور ، المجلد الثالث ، ص ص ١٩٢ / ١٩٤ .

ومن هذا يفهم أن دلالة مفهوم القيمة فى اللغة العربية تعنى أنها المعيار الذى يستخدمه الفرد فى تحديد مقدار الأشياء ، من الحسن ، والاستقامة والاعتدال ، وأنها وسيلة الانسان لبيان الحق من الباطل ، وأنها المعيار الذى يتحكم إليه الفرد فى تحديد قيم الأشياء والموضوعات ، والتى عن طريقها يحدد الصح من الخطأ .

هذا ، ولابد من أن نتعرف كذلك على مفهوم القيم من وجهة نظر المهتمين بهذا المجال حتى نتبين الى أى مدى تشكل القيم نمط الشخصية الانسانية ، وتسهم فى درجة سوائها النفسى . فنجد أن بعضهم - مور Moor ، ولامونت Lumont ، وثورنديك Thrnidke - قد عرفها بأنها الخير ، أو الاهتمام ، أو التفضيل بين الأشياء[١] ، على حين اعتبرها رايتسون وجاستمان (١٩٥٦ - ٥٤٥) المثل العليا الأساسية ، ومنهم من عرفها بأنها أفكار ومعتقدات يعتنقها الانسان كيرتس (١٩٧٠ - ١٣٨) ، وكرتش وكرتشفيلد وبولاتش Krech & Cruchfield & Pollachey (١٩٦٢ - ١٠٧) .

كما اعتبرها آخرون - عطية هنا (١٩٥٩ - ٦٠) حامد زهران (١٩٧٢-٥٦) ،وفؤاد أبو حطب (١٩٧٤-٦٢) تنظيمات لأحكام عقلية وإنفعالية نحو الأشخاص أو

---

(١) فوزية دياب ، (١٩٦٦) ، ص ٢٢ .

الأشياء أو المعانى ، ورأى كل من ميرفى ، ونيوكومب ، وميرفى [١] & Marphy Newcom & Murphy استعداد نفسى أو تهيىء للقيام بعمل ما نحو هدف معين ، ويعتبرها بعض آخر - فؤاد البهى السيد (١٩٥٨ - ٢٩٤) ، واحمد زكى صالح (١٩٥٩ - ٣٨٧) ، ومحمد ابراهيم كاظم (١٩٦٢ - ١٤) تقديرات أو معايير يلتزم بها الأفراد حال إصدار سلوك .

بينما حددها كل من سملسر Samelser ، وكلوكهون Kluchon [٢] وفوزية دياب (١٩٦٦-٥٣) ، كوبسومى Kuppuswamy (١٩٧٤ - ٢٦) بأنها مفهوم تجريدى يؤثر فى اختباراتنا وتفضلاتنا بين الأغراض المشروعة التى تقود الحدث ، وتصبح موجهاً لسلوك الانسان إلى الفعل الاجتماعى ، وأن هذا الاختبار أو التفضيل بين البدائل له مبرراته الخلقية أو العقلية أو الجمالية . ؛ قد اعتبرها ثومبسون Thompson (١٩٦٩ - ٢٢٥) محددا للملامح الأساسية لتقاليد وقوالب الحياة . كما أن محمد عاطف غيث (١٩٦٦ ، ٢٥٩) قد أشار إلى أنها الصفات الشخصية التى يفضلها الآخرون والتى ترتبط بثقافة معينة .

---

(١) عطية هنا (١٩٥٩) ، ص ١٨٦ .

(٢) ريشر Reschr (١٩٦٩) ، ص ٢

وبناء على وجهات نظر علماء النفس فى تحديد مفهوم القيم ؛ ذلك المفهوم الذى اتضح منه أنها تمثل مجموعة المثل العليا أو الأفكار والمعتقدات التى يعتنقها الانسان ، زو أنها الاستعدادات التى تدفع سلوك الانسان وتوجهه إلى ما هو أفضل ، وما هو مرغوب فيه من الأغراض المشروعة التى تحقق اشباع رغبات الفرد ، وأهدافه ، أو أنها المعايير التى يحتكم إليها الفرد حال اصدار سلوكه ، وأنها تحدد الملامح الأساسية لتقاليد وقوالب وأسلوب الحياة الذى ينبغى أن يحيا به الانسان ، أو أنها تنظيمات لأحكام عقلية إنفعالية نحو الأشخاص ، أو الأشياء ، أو المعانى أو أوجه النشاط التى يقوم بها الإنسان أو المرتبط بذوات الآخرين ، فإنه يبدو جلياً أهمية نوعية القيم التى يلتزم بها كل من الفرد والمجتمع فى تحديد نمط شخصيته ، ودرجة سوائه .

كما يتضح مدى الاتفاق - بين علماء النفس الأجانب منهم والعرب على إعتبار أن القيم عبارة عن مجموعة الأحكام التى يصدرها الأفراد أو الجماعات على ما فى بيتهم ، وأن هناك تقارباً بين هذه التعريفات . حيث تشير غالبيتها إلى أنها مجموعة المعايير التى يعتمد عليها الفرد فى إصدار أحكامه وتحديد موقفه من الأمور أو المواقف التى يتعرض لها فى حياته ، ولهذا إعتبرها عدد منهم أنها محددات لتعامل الفرد وتوافقة مع ما يواجهه فى الحياة ، ولهذا كان إختيارها كأحد الأسس التى يمكن أن تسهم فى تحقيق

مستوى أفضل من السواء النفسى للانسان .

وبناء على ما تقدم من بيان للقيم والدور الذى تقوم به فى حياة كل من الفرد والمجتمع سواء كان من ناحية تحقيق مستوى أفضل من الصحة النفسية السليمة لدى أفراد المجتمع . حيث تمثل قوة دافعة ، وموجهة للسلوك الانسانى ، ومحددا دقيقا لنمط شخصيته ، بحيث يبدو واضحاً ومميزاً لوجود الفرد ، ومحققاً لكيان المجتمع والدولة . كما أنها تشكل مصدر المشاعر والأحاسيس التى تبرز إنسانية الانسان التى تعتبر من أهم ما يميزه بين مخلوقات الله سبحانه وتعالى ، تبدو ضرورة تبنى كل من الفرد والمجتمع لتنظيم قيمى ، والتأكيد على أهمية الالتزام به فى كل ما يصدر عنهما من أقوال وأفعال وتصرفات فى مختلف مواقف الحياة وظروفها ، ذلك لأنها تساعد على سرعة ودقة الحكم بناء على ما اتخذته من معايير للقيم والتقدير والحكم على ما يواجهه الفرد فى حياته من مواقف وأمور تتطلب حلاً سريعاً يحول بينه وبين الوقوع فى دائرة الإضراب والقلق .

وإذا كان للقيم هذا الدور الهام فى تحديد السلوك الانسانى ، وما يمكن أن يكون عليه الفرد والمجتمع من مستوى السواء النفسى ، فإنه لابد أن تتم تنشئة الإنسان منذ

بداية حياته الأولى على أساس من القيم* ، ألا أن الباحث يؤكد هنا على ضرورة أن تكون هذه القيم هى القيم الاسلامية ، وان نحرص على تعميقها فى النفس الانسانية ، وأن نعمل على أن يلتزم بها الإنسان المسلم فى كل ما يصدر عنه من سلوك .

وقد يرى بعض المهتمين بهذا المجال الاعتراض على القيم الاسلامية متصوراً أنه لا يوجد فرق بين القيم أيا كانت مصادرها أو منابعها الثقافية ، إلا أن الباحث يرى أن القيم الإسلامية تشكل أهمية فى قوة وظيفتها الأساسية ، وهى دفع السلوك الانسانى وتوجيهه وتحديده ، ذلك لأنها مستمدة من ثقافة دينية عميقة وأصيلة ، وهى الثقافة الاسلامية التى تعتنى بمختلف جوانب الانسان ، وتدرك حقيقته منذ نشأته إلى لقاء خالقه . ومن أجل ذلك تعد القيم الاسلامية ضرورة أساسية - لابد أن يلتزم بها المسلم إذا أراد أن يحيا حياة صحيحة سوية - ذلك لأنها تعينه على إصدار أنماط السلوك ، وإتخاذ القرارات التى تؤدى إلى إحساسه بالاستقرار والهدوء والاطمئنان النفسى لتوافقها مع طبيعته الخيرة ذات الفطرة السليمة النقية الطاهرة .

---

* وهذا أيضا موضع اتفاق بين علماء النفس جميعا .

والإنسان المسلم فى حاجة الى هذا النوع من القيم ذات المنبع الاسلامى حتى يحقق الهدف من وجوده فى الحياة كما أرشده الله سبحانه وتعالى إليه . لأنها قيم مستمده من المكونات الثقافية الاسلامية التى من شأنها أن تساعد الانسان على أن يبتعد بذاته ، ويُبعد عن ذوات الآخرين من الناس عن القلق والإضطراب لأنه يسلك وفق قيم محدده وواضحة تنبىء عن نمط السلوك الذى سيصدر عن الانسان فى المواقف المختلفة ازاء غيره من الناس ، وأن هؤلاء الناس يتوقعون هذا السلوك . الأمر الذى يحقق للجميع درجة من الاستقرار والاطمئنان حال تعاملهم مع بعضهم .

ولهذا كانت الدعوة إلى ضرورة الالتزام بالقيم الاسلامية التى تعد من أهم الأسس التى تسهم فى تحقيق مستوى أفضل من الصحة النفسية السليمة للانسان . ويمكن أن يتم ذلك عن طريق المؤسسات المعنية بتربية النشئ ، بما يساعد على عدم إحداث تضارب بين القيم التى يكتسبها الطفل فى المنزل ، والتى يكتسبها فى بقية المؤسسات المعنية بهذا الأمر ، كالمدرسة والنادى .. إلى آخرها ، لأن ذلك يسهم فى تحقيق التماسك بين أفراد المجتمع ، وشيوع مناخ نفسى سليم يعيشون فيه على أساس من دوافع السلوك الصادر بينهم وهى القيم الاسلامية ، فلا يحدث تضارب فيما يصدر عنهم من أقوال وأفعال فى مختلف الظروف والاحوال .

بالإضافة إلى ما تقدم من أسباب تدعو إلى ضرورة الإلتزام بالقيم الاسلامية كدوافع للسلوك الانسانى والتى تساعد على تحقيق مستوى أفضل من السواء النفسى ، فان القيم الاسلامية قيم ثابتة ذلك لأنها ليست ذات ارتباط بفسلفة وضعية ناتجة عن أفكار بشرية متغيرة بتغير التجربة ، وبتغير العائد منها بتغير ظروف وأحداث الحياة والفكر وان إعتمدت فى تكوينها وبنائها على أساس فكر فلسفى ثبتت صحته فى وقت من أوقات الزمان الا أنهم يتمردون عليه فيما بعد ، بناء على ما يحدث من تغيرات فى حياتهم . ولهذا فان قيم الغرب وغيرها من الشعوب غير المسلمة قيم متغيرة بتغيرات الحياة الحديثة ، وهم يحرصون على أن تكون كذلك حتى يتمكنوا من تعديلها ، وتغييرها لتساير التغيرات والتطلعات التى يهدفون إلى تحقيقها ، بما يتناسب والتغيرات المستمرة والدائمة فى مجتمعاتهم . والقيم الاسلامية قيم مطلقة وليست نسبية ، كقيم الغرب التى يكتسبونها . حيث تعتمد فى تكوينها على ثقافة المجتمع وفكره وفلسفته واتجاهاته وميوله ورغباته المتغيرة .

كما أن القيم الاسلامية مبنية على أساس معرفى واضح ، لها العمق الثقافى المرتبط بالعقيدة إرتباطاً وثيقاً ، على حين تبنى القيم الوضعية على أساس ما يتلقاه الفرد من منفعه بحته لا علاقة لها بالجانب المعرفى إلا ما يخص الجانب المادى ، ولذلك

يكون من السهل تغييرها بتغير العائد المادى الزائل .

والقيم الاسلامية ذات المصدر الثقافى الاسلامى العميق الأصيل لها عديد من النماذج الحقيقة فى واقع حياة الانسان . بحيث لا يستطيع أى فرد أن ينكر إمكانية تحقيقها فى واقع الحياة المعاصرة ، وما يمكن أن تسهم به فى إصدار السلوك السليم حال تعامل الانسان مع غيره من الناس . بينما لا يوجد نموذج يحتذى فى القيم الوضعية - وان وجد فإنه يكون نموذجاً مؤقتاً - لخضوعها للتغير السريع ، ولمبدأ المنفعه المادية السائد فى مجتمعاتهم .

والقيم الاسلامية ليس بينها تناقض على الاطلاق لانها مكتسبة من منبع ثقافى متناسق متوافق مع طبيعة الإنسان ، ولأنها صادرة عن العقيدة التى أرادها الله لعبده ، وهو سبحانه اعلم به من غيره من بنى جنسه . بينما يوجد عدداً من التناقضات والتضارب بين القيم الوضعية لأنها خاضعة لمصدر متغير يتغير حسب الظروف والأحوال والتطلعات والتطور الحادث فى مجتمعاتهم ، ولذلك نجد أن القيم الاسلامية قادرة على إصلاح ما أفسدته ظروف الحياة فى طبيعة الانسان - إذا أراد الإنسان ذلك - بما يجعل الشخصية المسلمة أكثر توافقا وتكيفاً مع الناس والحياة ، بما يحقق له قدراً معقولاً من السواء النفسى .

والقيم الاسلامية التى تدعو الى ضرورة الالتزام بها لتحقيق السواء النفسى للانسان قيم تلزم الانسان المؤمن باتباعها ذلك لادراكه الواعى ما يترتب على الالتزام بها من عائد فى الحياة الدنيا والآخرة ، ويكون صاحب السلطة العليا فيها الخوف من الله سبحانه وتعالى على أساس من تكوين الضمير الانسانى وفق العقيدة الاسلامية فى مراحل التنشئة الاجتماعية للانسان ، ولذلك إذا انتقل الانسان من بيئته التى يعيش فيها وينتمى إليها إلى بيئة أخرى ، أو انتقل من مجتمع إلى مجتمع جديد ، أو من دولة إلى غيرها ، فإننا نجد أن نمط سلوكه واحد ، ذلك لأن تنظيمه القيمى الذى يدفع هذا السلوك ويوجهه ويحدده ثابت ومستقر ، وأن لا سلطان عليه سوى الله الواحد الأحد . كما أن ليس للمؤمن خيار فى ترك هذه القيم وهو محاسب - حسب عقيدته - على عدم الالتزام بها بعد أن اعتنق الاسلام وآمن بالله ورسوله . بينما يعتمد إلتزام الفرد بالقيم الوضعية على الوجود والقهر الاجتماعى الذى يعزز وجودها ، كما تعتمد عملية الإلتزام بها - فى بعض الأحيان - على القانون وسلطة الدولة العليا . فإذا تغيرت نوعية المجتمع أو تغيرت السلطة تغيرت معها .القوانين ، فإن مثل هذه القيم - الوضعية يصبح من السهل تغييرها .

ولذلك فإن القيم الوضعية لا يمكن ان تحقق للفرد والمجتمع أى نوع من الترابط أو

التماسك والوفاق ، أو أى درجة من درجات السواء النفسى بدرجة عالية لأنها لم تنبع من ثقافة ذات مصدر عقائدى ثابت ، بل من أفكار فلسفية متغيرة ومتباينة - كما بينا سابقاً - ولهذا فقد فشل المفكرون فى بناء وتكوين عقيدة وضعية يتمسك بها أفراد المجتمع ، وتكون منبعاً تستمد منه القيم التى تسهم فى تحديد وتنميط سلوكهم الانسانى ، بحيث يصبح لديهم مجموعة من القيم ، كالأمانة ، والتعاون ، والتعاطف ، والتضحية ، والوفاء ، ... إلى آخره . هذه النوعية من القيم التى تعمل على تحقيق الوجود الاجتماعى والسواء النفسى لهم . بالإضافة إلى الفصل بين الدين والدولة ، الأمر الذى جعل الدين الذى يدين به غالبيتهم ليس مصدراً ومنبعاً لقيمهم ، مما أدى بهذه المجتمعات إلى العيش وسط مناخ نفسى يدعوهم إلى الحيرة والاضطراب والقلق والانعزالية ، ولهذا لم تحقق لهم درجات السواء النفسى التى يتطلعون إليها .

وعلى العكس من ذلك بالنسبة للقيم الإسلامية ، فإنها مستمدة من عقيدة التوحيد بالله الواحد الأحد ، والتى تعتمد كثير من نظم المجتمع على منهجها الالهى ، ومن بينها التنظيم القيمى - الذى اثبتت تجربة الالتزام به - أنه حقق قدراً لا بأس به من الترابط والتماسك والانسجام بين أفراد المجتمع ، مما أدى إلى حسن التعامل بينهم ، وبما يؤدى إلى تحقيق مستوى أفضل من التوافق فى بيئتهم ، ذلك لأن المصدر الأساسى

يؤكد على أن (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَخْوَةٌ**) (الحجرات : ١٠) ، (**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِم لَو أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرض جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُم إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) (الأنفال : ٦٣) ويؤكد الله تبارك وتعالى على أن الانسان المؤمن محب لأخيه الانسان ، ويؤثر الناس على نفسه وان كان فى حاجة لما يطلبوه أو يحتاجونه (**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإِيمَـٰنَ مِن قَبلِهِم يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِم وَلَايَجِدُونَ فِي صُدُورِهِم حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم وَلَو كَانَ بِهِم خَصَاصَةٌ**) (الحشر : ٩) كما يبين رسول الله "ﷺ" طبيعة العلاقة بين أفراد المجتمع الاسلامى فى[1] قوله : " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" والمؤمن فى تعامله مع أخيه الانسان ملتزم بعدد من القيم ، كالحب والإيثار ، والتواد ، والتراحم ، والتعاطف .. الى آخر القيم الاسلامية التى تتناول مختلف جوانب الشخصية ، والتى تعتبر أساساً من أسس قيام الحياة الصحية السوية ، والتى تحقق بين أفراد المجتمع الترابط والأخوة والتى بها يشعر الانسان بالأمن والأمان .

ولهذا عُدت القيم الاسلامية والالتزام بها من أسس الاستقرار النفسى ، ومبعثاً

---

(١) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، ص ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ ، كتاب البر والصلة والأداب / باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، رقم الحديث ٢٥٨٦ .

للهدوء والطمأنينة الإنفعالية على اعتبار أنها مستمدة من عقيدة دينية راسخة، وأنها ذات قدرة هائلة على دفع وتوجيه وتحديد السلوك الانسانى المبنى على أساس من الادراك الواعى السليم والفهم العميق للنتائج المترتبة على كل ما يفعله ، ومن هنا كان سلوك الانسان المؤمن على درجة من الإنضباط والثبات والإستقرار . ممايحقق له وللآخرين السواء النفسى .

المـــــراجـــع

- القرآن الكريم .

- أحمد بن حنبل : المسند ، المجلد الخامس ، بيروت : المكتب الاسلامى للطباعة والنشر، (ب.ت).

- ابن تيمية : العبودية فى الاسلام ، ط (٣) ، القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٩٨هـ .

- ابن دقيق العبد : شرح الأربعين النووية ، جده : مؤسسة الطباعة والنشر ، ١٣٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

- ابن قيم الجوزية : زاد الميعاد فى هدى خير العباد ، جـ (١) ، ط(٢) ، القاهرة : مكتبة الحلبى ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .

- ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، جـ٢، القاهرة . مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦م .

- ابن منظور : لسان العرب ، بيروت : دار لسان العرب ، (ب . ت) .

- أبو الأعلى المودودى : الحكومة الاسلامية ، تعريب أحمد أدريس ، القاهرة : المختار الاسلامى ، ١٩٨٠م .

-أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى : تفسير القرطبى ، كتاب الشعب ، القاهرة : دار الشعب ، (ب.ت) .

- أبو اليزيذ العجمى : حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم ، مكة المكرمة : الأمانة

العامة لرابطة العالم الاسلامى سلسلة دعوة الحق ، العدد (٢٢) ، السنة الثالثة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .

- أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى : صحيح مسلم ، ط (١١) ، القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٥ هـ .

-أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى : صحيح البخارى ، بيروت : (ب.ت) .

-أحمد زكى صالح : الأسس النفسية للتعليم الثانوى ، القاهرة : النهضة المصرية، ١٩٥٩م .

-أسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى : كشف الخفاء ومزيل الالباس ، ط (٣) ، جـ (١) ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- بشير حاج التوم : تدريس القيم الخلقية ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

- توفيق السبع : نفوس ودروس فى اطار التصور القرآنى ، جـ (١) ، القاهرة : مجمع البحوث الاسلامية السنة الثالثة ، الكتاب رقم (٣٤) أغسطس ١٩٧١م .

- الحافظ أبو محمد شرف الدين ، وعبالمؤمن بن خلف الدمياطى ، المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح . تحقيق عبدالملك بن دهيش ط (٣) مكة المكرمة : النهضة الحديثة ، ١٩٨٦م.

- حامد عبدالسلام زهران : علم النفس الاجتماعى ، القاهررة : عالم الكتب ، ١٩٧٢ .

- الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، القاهرة :

مكتبة التراث الاسلامى ، ١٩٨٠م.

- الراغب الاصفهانى : الذريعة الى مكارم الشريعة ، ط (٢) ، القاهرة : ١٣٠٨هـ.

- زين الدين أحمد بن الحنبلى : جامع العلوم والحلم ، القاهرة : دار الفكر ، ١٩٦٢م.

- سيرل بيرت : علم النفس الدينى ، ترجمة محمد عبدة ، سلسلة الأفكار ، سوريا : دمشق للطباعة (ب.ت).

- سيد عبدالحميد مرسى : النفس المطمئنة ، ط (١) ، القاهرة : مكتبة وهبه ، ١٩٨٣م.

- سيد قطب : المستقبل لهذا الدين ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٠م.

- السيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى : تاج العروس ، الكويت : وزارة الإرشاد والأنباء ، ١٣٨٥هـ .

- صالح بن إبراهيم البلى : الهدى والبيان فى أسماء القرآن ، ط (٢) ، جـ (٢) ، الرياض : المطابع الأهلية للأوفست ، ١٤٠٤هـ .

- عائشة عبدالرحمن : القرآن وقضايا العصر ، ط(١) ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٢م.

- عباس محمود العقاد : التفكير فريضة إسلامية ، ط(١) ، القاهرة : دار القلم ، (ب.ت.).

- عبدالحميد الكاتب : خطرات نفس مسلمة ، كتاب اليوم ، القاهرة : مؤسسة أخبار

اليوم ، ١٩٨٦م.

- عبدالحميد الهاشمى وفاروق عبدالسلام : البناء القيمى كما ورد فى القرآن الكريم ، ندوة خبراء أسس التربية الاسلامية المنعقدة فى المدة من ١١-٦/١٤٠٠هـ . مركز البحوث التربوية والنفسية ، جامعة أم القرى .
- عبدالحفيظ فرغلى : المسئولية فى الاسلام ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، السنة الثامنة عشرة ، العدد (٢١٧) ، مارس ، ١٩٧٩م.
- عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد ، الرياض : الرئاسة العامة لارادات البحوث العلمية والافتاء ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.
- عبدالسلام عبدالغفار : فى الطبيعة الانسانية ، القاهرة : النهضة العربية ، ١٩٧٣م.
- عبدالسلام عبدالغفار : مقدمة فى الصحة النفسية ، القاهرة ، النهضة العربية ، ١٩٧٦م.
- عبدالقادر المغربى : تفسير جزء تبارك ، كتاب الشعب رقم (٦) ، القاهرة : دار الشعب، (ب.ت.) .
- عبدالكريم الخطيب : الإنسان فى القرآن الكريم ، القاهرة : دار الفكر العربى، (ب.ت).
- عبدالله الانصارى الهروى : منازل السائرين ، تحقيق وترجمة وتقديم دى لوجيه دى بوركى الدومنكى، القاهرة : مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، ١٩٦٢م.

- عز الدين بن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة المجلد الأول ، القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٠م.
- عبدالمعطى محمد بيومى : من فلسفة الاسلام فى الحياة ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، السنة الثامنة عشرة ، العدد (٢١٩) مايو ١٩٧٩م.
- عبدالله زيدال محمود : الايمان بالله واليوم الآخر ، ط(٢) بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م .
- عطية هنا : التوجيه التربوى والمهنى ، القاهرة : النهضة المصرية ، ١٩٥٩م.
- فؤاد أبو حطب : العلاقة بين اسلوب المعلم ودرجة التوافق بين قيمة وقيم التلاميذ ، المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد (١١)، العدد الأول ، يناير ١٩٧٤م .
- فؤاد البهى السيد : علم النفس الإجتماعى ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٥٨م.
- فرنك سفرين : علم النفس الانسانى ، ترجمة طلعت منصور وآخرون ، القاهرة : الأنجلو المصرية ١٩٧٨م.
- فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية : القاهرة : دار الكتاب العربى ، ١٩٦٦م.
- محمد جاد المولى وآخرون : قصص الأنبياء ، بيروت : دار الجيل ، ١٩٨٧م.

المراجع الأجنبية

- Cruchfield, R . & others. Individual in society. California : Mc, Grow-Hill Book company , Inc. 1962.

- Kuppuswamy, B. Child Behavior and development. India : Vikas publeshing House Pvt Ltd, 1974 .

- Maslow, A.H. Toward a psychology of being, New York : Van Nostrand . 1962 .

- Maslow, A.H. Toward a humanistic biology . Amer. Psychologist, 1964 , 24 , 734-735 .

- Maslow, A.H. The further reaches of Human Nature. New York : The VIKING PRESS 1971 .

- Matson, F. (Ed.) W hout, Within. U.S.A. division of wathsowth publising company .ic. U.S.A 1973.

- Rescher, N. Introduction to boys and girls . New Jeresy : prentice - Hall, Inc. ENGLE-Wood Chiffs, 1969 .

- Thompson, G. Child Psychology . India : Press Bomby , 1969 .

- Winthrop , H.A. humanistic psychology in Born , In R. Guthrie (Ed.) psychology in the world today . London : Addisn wesley publishing , Inc . 1968 .

المحتويات

الفصل الاول

الاسلام والطبيعة الانسانية

الفصل الثانى

الحقيقة والواقع

رؤية الاسلام للطبيعة الانسانية والادراك الانسانى لها

الفصل الثالث

اسس الصحة النفسية فى الاسلام

رقم الإيداع ٥ / ٧٨ / ٩٨
الترقيم الدولى .I. S. B. N
977 - 19 - 6227 - 2

مطابع الولاء الحديثة بشبين الكوم ت ٢٣٥٩٠١